حبيبى أنجبته السماء

بقلم : هدى عامر

obeikan.com

كتاب طيوف سلسلة من إصدارات يسطرون

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

الإشراف الأدبى

السيد حسن

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

المدير التنفيذى

هناء أمين

الطبعة الأولى
الكتاب : حبيبى أنجبته السماء
المؤلف : هدى عامر
تصنيف الكتاب :رواية
تصميم وإخراج : مؤسسة طيوف
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٤٣٨٩ / ٢٠١٨
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 627 - 2

العنوان : ٢٩٨ شارع الملك فيصل - محطة ضياء

Email : ketabtoyof@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : كتاب طيوف

جميع الحقوق محفوظة

إهداء

إلى قرائي الأجلاء..أهدى إليكم روايتي هذه "حبيبي أنجبته السماء" هي الروايه التي أقلقتني كثيراً، لأني صممت على أن أبعث لكم ما في ضميري ووجداني مؤمنة بأن الحب يفعل المعجزات وأن توافق القلوب شيء عظيم.

القدر دائما أقوى والإرادة والرضا بالمقسوم والوفاء أنبل وأعظم، إنه السلاح الفتاك الذي حطم أي شيء مخالف لذلك.

مع هدى عامر والعزف مع سطوري المرسله لكم أحبائي.

هدى عامر

obeikan.com

obeikan.com

كانت الخضرة تغطى المرتفعات المترامية على الربوة العالية التى تحيط ببيوت القرية من كل جهة، وإذا نظرت إلى أسفل الربوة يخيل للناظر أن الربوة تحتضن القرية بأكملها، بما فيها من منازل ومزارع وسواقى وحيوانات، وكأنها أم حنون تخاف على ما تملكه يداها من أى تدخلات غريبة ، إنه منظر خلاب يجعلك تعيش فى شاعرية وحساسية على مستوى عالٍ من الجمال، وكانت القرية تحت الربوة تنقسم إلى قسمين بواسطة ترعة ذات مياه غزيرة، لا ترى معظم سطحها من كثرة الإوز والبط والطيور التى تتسابق خلف بعضها وتعلو بأصواتها فى أغنيات جماعية، تدل على أن القرية بخير، وأن بها من رزق الله الكثير.

كانت الترعة تخترق الشوارع بصلابة وقوة، وهى ممتدة تحمل على جانبيها الأشجار الكثيفة المتشابكة، والتى تتمايل فى خيلاء وعظمة من كثرة الطيور التى تعيش بين أغصانها، والتى

تصادق الفلاح مثل العصافير المغردة والهدهد الذى يسبح بحمد الله .

ورغم أن القرية تنقسم إلى قسمين إلا أن الأهالى والجيران، فقراء وأغنياء، كلهم عائلة واحدة، وبيوت الفقراء فى القرية ومتوسطى الحال كانت بها خيرات كثيرة لا تجدها بسهولة فى المدينة، كاللبن والجبن والقشدة ناهيك عن رائحة الخبز الذى تشتهيها كل نفس وتعلن عن راحة نفسية لكل سكانها.

كانت حيوانات وطيور الفلاحين تخرج فى الصباح إلى خارج البيوت وتختلط ببعضها تبحث فى الأرض عن رزقها، تلعب وتطير فرحة بهذه النزهة اليومية الجميلة، وعند المساء يعود كل طير إلى بيته دون أن يعلمه أحد ذلك، وكأن الطيور كلها لبيت واحد .

إن القرية بل الريف عموما له مذاق وجمال خاص، لا نعوضه مهما تغير الزمان.

أما باقى البيوت فكانت للأغنياء، وهى عبارة عن فيلل وقصور لذوى المراكز والنفوذ، ولها بوابات عالية تحيطها الحدائق الغناء والزهور النادرة واسطبلات الخيل الأصيلة، يقوم على رعايتها عمال من القرية وكلافون يسهرون عليها الليل والنهار، لتصبح فى وسط بيئي نظيف، وكان أصحاب هذه القصور والفيلل يمتلكون من الأغنام أعداداً هائلة، يسندون تربيتها إلى رعاة الأغنام.

ومن هؤلاء الرعاة كانت والدتي، فهى راعية غنم لها خبرة عالية فى هذا المجال، كما أن لها عزة نفس يشهد بها الجميع.

تعيش أمى فى بيت كبير، خلفه مكان واسع يشبه الحظيرة، وكان المكان كله لأحد أغنياء المنطقة، وأهداه لأمى لخدمتها المثالية للعائلة. وهو فوق الربوة التى تحتوى على عدد قليل من الأكواخ المتفرقة والمتباعدة عن بعضها بمسافات كبيرة، وأصحابها من الفقراء وعملهم

رعاية الماعز والأغنام منذ الصباح حتى غروب الشمس.

وكانت لنا جارة جدة لصديق لى يكبرنى بعدة أعوام، هذه الجدة تحب أمى وتحبنى كثيراً، وأنا أحب حفيدها وكأنه أخ لى، ووالدتى مشهورة برجاحة عقلها وحكمتها واحترامها لكل أهل القرية الذين يبادلونها الحب، و يعطفون عليها، ويقدرون مجهوداتها.

رغم حالة الفقر التى كانت أمى تعيشها إلا أنها كانت تمتلك من الجمال ما يجعلها أغنى من الفتيات المحيطات بها، كانت حلوة الحديث رغم صغر سنها، باسمة الوجه، عيناها زرقاء كلون السماء الصافية، شعرها طويل غزير كسلاسل الذهب تحت أشعة الشمس، كانت تجدله فى ضفائر خلف ظهرها، وتغطيه بطرحة خفيفة مطرزة بخرز من نوع رخيص.

orbeikan.com

كانت أمى ممشوقة القوام جذابة إلى أبعد ما يكون خاصة فى ملابسها العربية المزركشة، وكانت تلف حول وسطها قطعة من القماش كحزام به جيوب، تحتفظ فيها بكسرات من الخبز، وقليل من لبن الماعز فى وعاء صغير وبعض التمر، هذا هو قوت يومها.

كانت أمى ترفض الصدقة أو الحسنة من الذين تعمل عندهم، وكانت تكتفى بأجرها عن العمل الذى تقوم به فى رعاية الأغنام من شروق الشمس حتى غروبها.

أما الكوخ الذى نعيش فيه، فكان يحتوى على فراش للنوم، وقليل من المعدات للمعيشة وكانون صغير لطهو الطعام، وأشياء بسيطة لحياة متقشفة فقيرة.

ذات يوم عادت أمى متعبة بعد تسليم الخراف إلى مالكيها، وكانت محمومة وبها رعشة فى جسدها، وبسرعة قمت بإعداد الشاى

الدافئ وقدمته لوالدتى، وجلست بجوارها طول الليل، أبكى تارة، وأدعو لها بالشفاء تارة أخرى، إلى أن جاء حفيد جارتنا صديقة والدتى، وساعدنى فى تمريض أمى لتخف عنها الحمى التى انتابتها، وكان ذلك بعمل كمادات ماء على رأسها وأرجلها لساعات طويلة حتى هدأت حرارتها نوعا ما.

وعند قدوم الفجر جاءت جارتنا الجدة، وهى تحمل بين يديها قليلاً من الحساء لكى تقتات به والدتى، ويعينها على ما هى عليه.

جلسنا ثلاثتنا صامتين، ثم نادت علىَّ والدتى، وقالت: اترك الأصدقاء الأوفياء ليذهبا يا ولدى فأنا بخير.

فعلا تركتنى الجدة وحفيدها ليأخذا قسطاً من الراحة فى كوخهما، بعدما اطمئنا على صحة والدتى .

وبعد خروجهما مباشرة قالت لى أمى: يا عهد أريد أن أطلعك على سر قد خبأته عنك سنوات طويلة، ولطالما اشتاقت نفسى لأبوح به، حتى تهدأ روحى، ويستكين قلبك من ناحية، السر عن زواجى بأبيك وكيف تعرفت عليه.

كانت كلماتك تؤلمنى عندما كنت تسأل عنه، وعن غيابه، عنا، وعدم وجوده ليتحمل مسئوليتنا، كنت أتهرب منك بحجة أنه مسافر، لكنك الآن أصبحت فتى وسيماً ناضجاً يعتمد عليك فى كتمان السر الذى قرح جفونى من البكاء وهزل بسببه عودى وضعف جسدى.

وها أنا الآن بين سكرات الموت، وأريد تخفيف ما أحمله عن كاهلى، وأيضا لتعرف عن والدك ما لم أبح به لمخلوق غيرك، ولكن قبل كل شيء أريد منك أن تعاهدنى على أن تحفظ هذا السر ما حييت، كى لا تعرض نفسك إلى أى مساءلات أو مشاكل، وحتى تهدأ روحى فى مثواها.

قلت بلهفة وحب وأنا أطمئنها: لك هذا يا أمى والله على ما أقول شهيد. رشفت أمى قليلاً من الماء، وقالت منذ زمن بعيد كان عمرى فى ذلك الوقت سبعة عشر عاماً، كنت صغيرة وجميلة جمالاً يجعلنى أتوج على عرش الأميرات بين جنس الفتيات وكنت كما أنا الآن فقيرة راعية غنم، كل ما أملكه من الدنيا حب الناس، وأثناء جلوسى بين غنماتى سمعت صوت انفجار، هائل يشبه صوت الرعد الشديد، عندما يهاجمنا بدون مقدمات، فزعت فزعا جعلنى أرتجف وأسرعت أختبئ بين الشجيرات الكثيفة التى خلف الكوخ ومعى غنماتى التى أفزعها هذا الانفجار أيضا.

شعرت بقلبى يغوص بين ضلوعى، وأنا ألهث محاولة كتمان أى صوت قد يصدر منى، ثم أخرجت رأسى قليلاً لأتبين ما يحدث بعدما هدأ المكان ، ولم تطل وقفتى خلف الأشجار، نظرت إلى السماء فوجدت ضوءاً كاد يأخذ بصرى

لشيء يهبط من السماء بسرعة جنونية، وينزل على الأرض التى أقف عليها، وسمعت صفير هواء شديداً، وأخذت حشائش الأرض وما عليها تتطاير، وكأن بالربوة عاصفة شرسة هزت الأرض بعنف.

وبعد قليل أخذت العاصفة تهدأ رويدا رويدا، حاولت التعرف على شكل هذا الشيء الذى اصطدم بالأرض، فرأيته مثل طبق كبير فى وسطه شكل يشبه رأس الحصان الضخم ويتدلى منه ذيل الحصان بشعره الطويل، والطبق والرأس والذيل لونها براق كلون الفضة، كتمت أنفاسى وأنا أحملق مبهورة بما يحدث، فوجدت فم الحصان يفتح، وصار كبوابة واسعة تخرج منه أنبوب ضخمة، برز منها أسلاك فضية طويلة اتحدت مع بعضها فى لمح البصر، وصارت أشكالاً لرجال طوال القامة بملابس تشبه هذا الشئ الذى خرجوا منه.

ووجدت وجوه هؤلاء مغطاة بأقنعة، وهم يرتدون فى أيديهم ما يسمونه بالقفازات.

سكتت والدتى وارتشفت قليلاً من الماء، كانت وهى تصف لى هذا الوصف الدقيق تشعر بخوف شديد- وكأنها ترى ما تحدثنى به أمامها، وأمسكت يد أمى قائلاً لها هدئى من روعك يا حبيبتى، وأكملى أرجوك، لقد شوقتنى لمعرفة من هم هؤلاء الرجال .

أكملت أمى حديثها قائلة: لقد أخذت غنماتى وهرعت بها إلى مالكيها، وعدت أدراجى إلى الربوة، دون أن أنطق بكلمة مما رأيت لأى إنسان، وكان اليوم التالى لهذه الحادثة يوم عطلتى، اليوم الذى أنظف فيه كوخى، وأغسل ملابسى القليلة البسيطة، وأطهو بعض الطعام المتوفر لدى، وهو عبارة عن خبز فى حساء بدون لحم وتمر محلى بالسكر وحليب دافئ.

obeikan.com

آثرت أن أكتم ما رأيته بعينى، وخفت أنى لو تحدثت مع أحد فى ذلك فسينعتوننى بالجنون أو الكذب، ولهذا فضلت السكوت حتى يحين الوقت لذلك مستقبلا.

هكذا أنا دائما أريد التأكد بنفسى أولاً حتى يكون لحديثى معنى واتجاه.

وعندما جاء موعد طعامى، فرشت خارج الكوخ قطعة قماش بالية على العشب بجوار الباب، وابتدأت فى الأكل فى الهواء الطلق.

كانت هوايتى أن أنام على العشب بعد ذلك، وأنظر إلى السماء التى كنت أحبها كثيراً أكثر من أى شيء، وأثناء ذلك رأيت خيالاً كبير الحجم غطى مساحة المكان الذى أجلس فيه.

رفعت رأسى بهدوء! ووجدته، كان شاباً طويل القامة يرتدى ملابس فضية جميلة فضفاضة وعرفته فى الحال، إنه أحد الذين خرجوا من فم الحصان، واعتقدت أول ما رأيته أنه كبيرهم،

لأنه كان فى مقدمة هؤلاء الرجال عند نزوله على الربوة، وكان قناعه شفافاً يظهر عينيه بوضوح.

عندما اقترب منى خلع قناع وجهه، ورفعت وجهى فى صمت شديد، نظرت إليه، كان له تقاطيع صغيرة الحجم، وعيون ضيقة، وأنف أفطس، وشعر لونه أبيض مصفر، وشفتان مكتنزتان، ولكنه فى مجمله جذابا، يشد النظر إليه.

تخيلت من شدة نبض قلبى أنه سيفر من بين أضلعى، وحاولت أن أتماسك قدر المستطاع.

قال فى هدوء: أتسمحين أن أجلس معك قليلا؟

ورغم خوفى الشديد من الموقف، لعدم معرفتى أكان من يقف أمامى ينوى لى الشر أم لا، إلا أنى شعرت بعطف كلماته وبتواضعه، ولأول مرة أسمع كلمات فيها هذا القدر من الاحترام لى، وأنا الفتاة الفقيرة راعية الغنم .

رددت بسرعة وبلهفة: تفضل.. إن المكان يفخر بوجودك.

هزته كلماتى فقال مبتسماً: نحن هنا ضيوف على كوكبكم لفترة ليست بالقليلة، وأنا كبير مهندسى الأبحاث الجيولوجية وعلوم الكواكب، وقد حضرت مع الزملاء لأخذ عينات من أرضكم، لنجرى أبحاثاً على كل الكائنات الحية على هذه الأرض حتى نفيدكم بأبحاثنا ونستفيد نحن أيضا، ووجودى الآن معك كى أوضح لكِ أمرين: أولهما أن أنبهك لضرورة كتم السر وعدم البوح لأحد بأنك رأيت أى شيء، هذا من أجل سلامتك، والأمر الثانى لأشكرك لأنك عندما رأيتنا انزويت خلف الأشجار مع حيواناتك، بدون أى ضجة أو إزعاج، لقد رأيتك وراقبتك دون أن تشعرى حتى لا تخافى أو ترتبكى، وفى الحقيقة أنا لم أكن أنتظر منك هذا الهدوء رغم صغر سنك.

فرحت بقوله، وهدأت دقات قلبى، وابتسمت فى سعادة، ولاحظ هو ذلك، فقال: كلمينى عن نفسك.

فقلت له: أنا نرجس، راعية غنم، عمرى سبعة عشرة عاماً، يتيمة الأبوين، وأعيش فى هذا الكوخ على فيض الكريم، محبوبة من كل المحيطين بى لشهرتى بالطيبة وحسن المعاملة واحترام الآخرين هذا كل شيء.

لف هذا الغريب أنامله حول يدى ثم قال: إنك شيء رائع وعظيم، فأنت أول مخلوق أرضى أقابله منذ وصولى، وأنا سعيد للغاية بمعرفتك يا نرجس.

قلت له بسرعة: وما اسمك يا سيدى؟ هل تطلعنى عليه؟ أم أنك تريد السرية فى هذا أيضا؟

فقال: سوف أطلعك على كل شيء.. إن لى اسماً كبيراً وبحروف كثيرة، ولكن بلغتكم التى

تعلمناها منذ سنوات يكون معنى اسمى "رماح". يمكنك مناداتى بهذا الاسم نحن فى مكان غير مكانكم، من فوق من السماء أى أنى أتيت إليكم من كوكب غير كوكبكم الأرض. لقد حضرنا فى سرية تامة لنقوم بعمل الأبحاث التى كلمتك عنها، ولا نريد أن يشعر بنا أحد؛ لأن فى ذلك خطراً كبيراً علينا، أفهمت؟

قلت: نعم سوف أتجاهلكم تماماً، كن مطمئناً.

أضاف: أتسمحين بأن أراك كل يوم فى هذا الميعاد؟

قلت له: ربما يكون الميعاد متأخراً قليلاً؛ لأن اليوم إجازتى، وغدا عمل، والميعاد لا يتناسب مع أيام العمل؛ لذا سيكون الميعاد بعد هذا الوقت بقليل، وبذلك أكون انتهيت من خرافى وأعمالى وبعدها سأقابلك بكل ارتياح هنا.

أسعدته هذه الموافقة وقال: إذاً اسمحى لى بالانصراف.

قلت له: ألا تشاركنى الطعام؟

أجاب: سأكتفى بأخذ هاتين الثمرتين كتذكار منك وبالمناسبة ما اسم هذه الثمار؟

قلت فى خجل: إنها تمر يا سيدى.

ربت على ظهرى فى حنان بالغ افتقدته منذ زمن بعيد وتركنى واختفى بين الأشجار. ابتعدت خطواته دون أن أعرف منه أين مكانه على الربوة أو المخيم الذى ينزل به. جلست أفكر فى كلماته، لقد كانت كلها كلمات كبيرة على فهمى من ناحية طبيعة عمله، فأنا لا علم لى بمعانيها، لقد قال جيولوجيا وعلوم فضاء وما إلى ذلك، المهم رغم عدم فهمى معنى هذه الكلمات، لكنى بفراستى فهمت أنه ذو شأن عظيم بين المحيطين به، وهذا يكفينى فما لى أنا وأعماله وأسمائها؟ إنى إنسانة بسيطة، أفهم فقط فى حيواناتى ورعايتها، كما أفهم فى الأمانة

والاحترام والتعاون ومعاونة الضعيف وطيبتى مع جيرانى وهذا يكفينى والحمد لله .

دخلت إلى كوخى، وأنا لا أعلم سر سعادتى، كان قلبى الصغير يرفرف بين خلجاتى، وشعرت براحة ودفء وشبع، وشعرت بأنى أريد أن أنام نوماً عميقاً حتى يأتى ميعاده لأتعرف عليه أكثر، كنت متعجلة رؤيته مرة ثانية، حتى أشبع فضولى فى الوصول إلى كل شيء يتعلق به.

جاء وقت عملى، ونهضت نشيطة كعادتى، أديت واجبى اليومى كما تعودت أن يكون على خير وجه، وعدت أدراجى إلى الكوخ، وانتظرته، وشرفنى بحضوره، ولكنه غير ملابسه فى هذا اللقاء، كان يرتدى ملابس تشبه ملابس راعى الغنم بالهضبة، وسلمت عليه بسعادة شديدة وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث، سألنى عن الأغنام والحليب الذى أحلبه من الماعز وفوائده لنا وللأطفال والحياة والنمو،

سألنى عن الأعشاب والتربة والخصوبة عن الماء والطلمبات التى فى بيوتنا، كما سألنى عن الطيور والأشجار، وعن القماش والملابس، وعن المرض وانتشاره، وعن أشياء قال إنها تهمه؛ لأنها أشياء يبحث فيها ليتوصل إلى زيادة نسل الحيوانات وزيادة خصوبة الأرض ونقاء المياه وصحة الناس والطيور وزيادة العلم وانتشاره، وقال أيضا إنه يهتم بالصخور والتراب والرمال والأخشاب وكل شيء كبير وصغير فوق أرضنا .

جلست أرد عليه على قدر علمى الذى اكتسبته من البيئة المحيطة بى، نضحك تارة، ونبتسم تارة، ثم حضر بعض معاونيه ومعهم أجهزة بسيطة صغيرة، و(برطمانات) وشرائح زجاجية ومعدات وآلات كثيرة لم أعرف تصنيفها، وأخذوا بعض التراب، وبعض الحشائش، وبعضاً من فراء الخراف، وقليلاً من الألبان،

وبعض دماء الخراف، بعدما وخزوها بإبر معهم، وتركونا متجهين إلى مكان إقامتهم.

وسألته: أين مكانكم بالربوة؟

قال: نحن نختبئ بين الأشجار فى محطة كبيرة، ونخبئ معداتنا وكل شيء معنا حتى لا يرانا أحد، ونؤدى عملنا فى سرية كاملة.

سألته أيضاً: هل أنتم قوم أشرار تريدون أذانا وتخريب كوكبنا يا سيدى؟ فإن كان هذا أستحلفك بالله يا سيدى ألا تفعل؛ فنحن قوم لا نؤذى أحداً، بسطاء فقراء طيبون، نحب الخير للجميع.

لكنه أجاب بسرعة ليطمئننى: لا يا عزيزتى والله لن يكون أبداً، لقد أحببت كوكبكم كما أحببت أرضى ووطنى، ولعلمك لقد حضرت مرة قبل ذلك أيام دراستى، وكنت أتمنى اليوم الذى أرجع فيه، وأنا عالم كبير، لأساعدكم وأحسن من أحوالكم وأحوال أرضكم، لى عليك

عتاب: هل فى كلامى معك ما يشعرك أننى خائن أو أنى من الأشرار؟

قلت بسرعة معتذرة: معاذ الله يا سيدى، ما أخافنى هو السرية التى تحيطون بها أنفسكم، قررت ألا أكون شريكة فى شر يقع لأهلى وأرضى بكتمانى سر وجودكم، لذلك سألتك، وعلى العموم لقد تركت هذا الأمر لله وحده، وأنا الآن أصدقك لأنى أريد أن أصدقك.

وتعددت بنا اللقاءات، حتى بت لا أطيق فراقه، لقد شعرت أنى أحبه، نعم لقد أحببته رغم بعد المسافة بينى وبينه، وفارق السن، واختلاف الطبيعة والبيئة والثقافة، لكنى أحببته بفطرتى الطيبة التى لا تعرف فرقاً بين كل هذا.

وشعر هو بكل هذا الحب، والعجيب أنه بادلنى إياه، أصبح يقضى معى أوقاتاً طويلة، نلهو ونلعب نضحك ونتسامر، يعلمنى أشياء لم أكن أعرفها رغم وجودها فى حياتى وأمام عينى كل

يوم، وفعلا تعلمت منه الكثير، وأصبحت أتكلم بلغة فيها نوع من العلم والثقافة، وعرفت أشياء كثيرة عن بواطن الأمور، ومجريات الحياة.

كان يشرح لى ما يعلمنى إياه على أوراق كبيرة يسميها خرائط ،أفهمنى أشياء علمية عن الكواكب والنجوم والمركبات الفضائية وكيف وصل إلينا ولماذا .

لقد شعرت أنه غذى عقلى، لمس قلبى، أعطانى من وقته الكثير باهتمام بالغ كلما وجد الوقت المناسب بعدما يفرغ من أبحاثه التى حضر خصيصاً من أجلها، كنت أشعر عندما يغيب عنى أن شيئاً ما ينقصنى، وحياتى كلها تتوقف لحين عودته مرة أخرى؛ لنتسامر ونتحاكى ونتوانس، حتى جاء يوم وقال لى: نرجس حبيبتى الصغيرة العذراء فى المشاعر والحب والحياة، إنى أصبحت لا أقدر على فراقك وأشعر بعاطفة قوية تجرفنى نحوك، إننا مخلوقات كوكب غير كوكبكم، لكن يوجد تشابه

كبير بين جنسينا، ونحن لسنا وحوشاً كما يصورونا، ولا أشباه حيوانات مع إنسان. ربما يكون بعض منا فى مناطق أخرى لهم هذا الشكل.. لكن نحن كما ترين لا نختلف عنكم كثير إلا فى التقدم والمعرفة وفى بعض تكوينات الجسد الذى أحب أن أطلعك عليه، وهو أنى لا أملك جهازاً هضمياً كأجهزتكم، نحن نستمد قوتنا من الإضاءة الشديدة، أى نعرض أنفسنا كل مدة إلى إضاءة مباشرة، وهكذا بفضلها نستمد القوة التى تساعدنا على الحياة.

فزعت من كلماته وقلت: يا إلهى أتعيش بدون طعام ولا شراب؟ كيف يكون ذلك؟ إن أجمل شيء فى الوجود هو تناول وجبة جميلة تحبها، نحن نحارب الزمن والطبيعة من أجل الطعام والشراب، فكيف يكون هذا؟ أنا لست مقتنعة.

ابتسم بحب وعطف وقال لى: سأوضح لك، نحن نملك كل الأجهزة الجسدية التى تمتلكونها، فيما عدا جهازاً يسمى عندكم بالجهاز الهضمى

المتخصص فى تحويل الطعام إلى مواد هامة، تفيد الجسم وتقويته وتنميته أتفهمين ذلك؟

قلت بسرعة: نعم نعم أفهم هذا جيداً.

استطرد قائلاً: نحن بدلا من الجهاز الهضمى نملك خلايا فى جسدنا تمتص الضوء الذى يمدنا بالطاقة بدل الطعام، و هذه الخلايا يجب أن تتعرض للضوء لأوقات طويلة كل عدة أشهر تكفينا لنعيش وقتاً طويلاً بنشاط وقوة.. مثلاً الزرع عندكم كيف يعيش؟ إنه يستمد نموه الطبيعى من الضوء، وكلنا مخلوقات موجودة فى الحياة، كل حسب موقعه وحاجته أفهمتِ؟

أجبته قائلة: نعم.. فهمت، هذا فرق بسيط لا يخصنى فى شيء، ما دمت أنت تعيش وتتمتع بحياتك.

ثم أمسك يدى وقال: لقد هبطت من السماء إلى كوكب الأرض، وأول وجه قابلته كان وجهك، ورأيت فيه الجمال النادر والفطرة السليمة

الهادئة، عندما قرأت الخوف فى عينيك وقابلتنى بعدها بالترحاب والود والحنان رغم صغر سنك، وأغدقتِ عليّ من العطف الكثير، عندما قدمتِ لى طعامك البسيط لأتناوله فى أول لقاء لنا، قدمتِ لى الوفاء وتسترتِ علينا، وأعطيتِنى من الرعاية والحب الكثير..هل تقبلينني زوجا لك؟ إنى أتكلم بلغتك، لغة أهل الأرض التى درستها جيداً فهل تكونين سعيدة لو ارتبطت بى؟

وتنهدت أمى بألم، وذرفت دموعاً غزيرة على وجنتيها الجميلتين، وأخذتها بين ذراعى، وقبلت جبينها، وقلت لها: تمالكى نفسك يا قرة العين لقد شوقتنى لسماع ردك.

مسحت أمى عينيها، وارتشفت قليلاً من الماء، ولاحظت توعكها، إن بأمى علة، وهى تحاول أن تخبئها عنى، إنها مريضة وتتألم دون أن تشعرنى بذلك، وكتمت ما لاحظته.

أكملت أمى الحديث قائلة: بعدما قال لى كلماته الحانية الطيبة، قلت: يا رماح إنك أتيت عندنا، وجئت إلى المكان الذى أعيش فيه، وقدمت نفسك بكل وضوح، وقمت على رعايتى وتهذيبى وتعليمى، ومحوت أميتى، وجعلتنى أقرأ وأكتب، وثقفتنى حتى أفهمك، أنا الفقيرة اليتيمة التى لم تجد صدراً حنوناً طول حياتها وتعيش على فتات الخبز والتمر، إنى قبل مجيئك كانت حياتى بسيطة لا أمتلك من الدنيا غير فراش أنام عليه فوق الهضبة بجوار الكوخ، كانت الأرض فراشى والسماء غطائى وعلى الأرض كل أصدقائى، إنهم عنزاتى وغنماتى وخرافى، أشكو لهم همى، ألعب معهم يؤنسون وحدتى، ويسلوننى طول الوقت، وكانت السماء الصديق الثانى لى فى الدنيا، فهى غطائى قبل كل شيء، كنت أحب فيها الأشياء الصغيرة اللامعة بلون ملابسك الفضية، والتى نسميها النجوم، إنه اسم بالنسبة لى، ولا أعلم عن معناه شيئا، ومع ذلك أحببت النجوم، وكذلك

أحببت السماء بلونها الأزرق الغامق الممتزج بالأزرق الفاتح فى شكل انسيابى جميل، أحببت القمر الذى ينير لى الربوة وما عليها، وكذلك الشمس التى تدفئنى، والغروب بجماله ورسومه التى يكونها قرص الشمس الملتهب والمتوهج باللون الأحمر القانى، والذى ينتج عنه الألوان بكل الدرجات، وأرى فيه أن قدرة الله عظيمة، فلا يمكن لأى بشر أن يصور هذا الجمال النادر.. كنت أسأل نفسى من أين جاءت كل هذه الألوان: البرتقالى بدرجاته، والأحمر بدرجاته، والأزرق، والأبيض، وتداخلها مع بعضها وهى تفترش السماء حول قرص الشمس الذى يختال ببريقه ليؤكد وجوده، والغروب المبهر وكأنه يودعنا متفاخراً بتكوينه، كما أحببت السحب التى تشبه الثلج الممتزج بالحليب، وأتخيله على شكل رسوم جميلة للبشر، كإنسان يحتضن طفلاً، كأم ترعى طفلها، كرجل يعشق حبيبته، كأخ يعانق أخاه، السماء عالمى، أتخيل كل شيء فيها، وأنا مستلقية على ظهرى، هذه هى حياتى،

بنت الطبيعة التى تعشق ما حولها بجنون، خاصة السماء التى بزغت أنت منها، وحضرت إليّ كنور الفجر، واخترت كوخى لتنزل أمامه بمركبتك، وكأن شدة حبى للسماء أنجبتك لى خصيصاً، لتكون الأب الحانى، والأخ الذى لم أره، والحبيب الذى تمنيته، والرجل الذى يحتوينى، والمعلم الذى أنار عقلى وقلبى، عندما رأيتك هابطاً من السماء، خلعت قناع وجهك، شعرت أن شيئاً قويا يجذبنى إليك، لقد تنملت أطرافى واقشعر جلدى، ووقفت شعيرات رأسى وتسارعت ضربات قلبى، نعم أحببتك .. أحببتك وأشكر السماء التى أنجبتك لى، وأشكر الأرض التى صانت وجودك.... إنى أوافق، وكيف لا أوافق على أن تكون زوجى؟

تعانقنا، وأطفأنا لهيب حبنا رغم اختلافنا فى كل شيء، إلا شيئاً واحداً هو أن الله هو الذى خلقنا، كنتما توأمين... نعم كنتما توأمى الروح والقلب وضّاح وعهد أولادى، وعندما أنجبتكما كنت

أنت تشبهنى فى كل شيء، أما أخوك فهو جزء منه لا يتجزأ، كان أطول منك بكثير، وتقاطيع وجهه هى تقاطيع والده، وأخفى عنى والدك أن تركيبة جسده كانت مثله، تنقصه الأجهزة الخاصة بالطعام، وأنا لم أكن أعرف ذلك، لقد أخفى عنى والدك هذا الأمر حتى لا يزعجنى، وبطبيعة الحال كنت لا أطعمه، وكان والدك يقول: سأتولاه أنا عنك وأطعمه لأخفف عنك التعب.

كان والدك يأخذه كل مدة إلى مقر عمله بحجة الكشف عليه، وهناك يطعمه بالأجهزة ويأتى به بعد ساعات وهو فى صحة جيدة وحيوية ونشاط.

كنت أشعر أن هذا يكفينى لأن والدك كان يقوم على رعايته جيداً، والطفل ينمو بسرعة، وعشنا نحن الأربعة حياة ملؤها الدفء، وحياتنا حياة الأسرة الكريمة، حتى وصلت إلى سن الخامسة، كنت أنام أنا وأنتم فى هدوء وسلام، وقبلنى

والدك قبل أن يدخل فراشه، ولاحظت دموعاً غزيرة فى عينيه، وسألته: ما الأمر؟ إنى أرى دموعاً فى عينيك.

قال: إنها من فرط السعادة يا حبيبتى.. تصبحين على خير.

صدقته، فى الصباح استيقظت، ولم أجد سواك فى فراشى، ووجدت رسالة بجوارى.. قرأت الرسالة وأنا أرتجف وأتوجس شراً كثيراً سأجده فى سطورها وقرأت:

عزيزتى وصغيرتى ونور العين نرجس، لقد حان وقت الرحيل، ويجب العودة حسب قوانين كوكبنا بأسرع ما يمكن، لقد انتهيت من كل أبحاثى، واستعد الرجال، وجهزنا الآلة التى ستبحر بنا فى الفضاء إلى عالمنا، لقد نزفت من داخلى، وأنا أتكتم عنك هذا الأمر؛ لأنه يجب الرحيل فى هذا الوقت، وإلا فنى جسدى وذهبت إلى الأبد، إنه ليس بيدى، لقد أخذت منك وضّاح

لآن تركيبة جسده مثلى تماماً، وأنت لم تلاحظى هذا لأنى أوهمتك بأنه طفل طبيعى، ويشبهك فى كل شيء، لكن فى الحقيقة وضاح ينقصه الجهاز الخاص بالطعام، إنه يشبهنى أنا ولهذا كان لا يرضع منك مثل أخيه،هذا ما جعلنى آخذه من الحين إلى الحين بحجة علاجه وفى الحقيقة كنت أعرضه للضوء الذى يجعله يعيش مدة طويلة، وأخفيت عنك ذلك لأجنبك الحزن والخوف والفكر، وعندما آن الأوان لسفرى كان يجب أن يكون وضّاح معى كى لا يموت لو تركته لعدم وجود من يفهم فى رعايته، وسيفضح ما خبأناه عن الناس، وهذا هو الحل الأمثل لنا جميعا، وها أنا أترك لك عهد وسيكون ابناً باراً بك؛ لأنه طفل طبيعى فى تكوينه كباقى أهل الأرض، وسيكون فى صحة جيدة، إنه وسيم ذو وجه عربى جميل ويشبهك يا أغلى من حياتى .. سامحينى ووداعاً غير مقصود، لقد عشت معك أحلى أيام على أرضك

الطيبة، وكانت ضيافتك مثمرة لى فى كل شيء.. زوجك رماح .

لقد قالت أمى آخر هذه الكلمات، وكأنها حفظت رسالة أبى عن ظهر قلب من كثرة قراءتها.

أتمت أمى حديثها لكن نبرة صوتها كانت متغيرة، إنها منهكة منفعلة، ثم أطلعتنى على الرسالة بعدما قرأتها لآخر سطر فيها.

واستطردت أمى قائلة: وجدت نفسى فى حالة انهيار وهياج وعصبية شديدة، وأخذت أصرخ بأعلى صوتى صرخات كادت تهز كيانى كله، بكيت، ضربت الأرض بأقدامى، مزقت شعرى، لطمت وجهى، وذرفت من الدمع الكثير، لم أهدأ إلا بعدما نظرت فى وجهك، ووجدت الخوف مرسوماً عليه، خفت عليك، ضممتك إلى صدرى، وابتلعت ألمى وآثرت أن أخزن أحزانى داخلى حتى لا تنزعج أكثر من ذلك.

بعد عدة أيام سألتنى صديقتى العجوز الطيبة: أين وضاح؟

قلت لها: لقد خاننى زوجى، وسافر لبلاده، وأخذ "وضاح" معه، وأخفيت السر فى قلبى طيلة هذه السنوات.

وعندما كنت تسألنى عن والدك أقول لك: سوف يأتى قريباً، وأنت ببراءة الأطفال كنت تصدقنى، وأحياناً أراك مهموماً من أجل تأخره.

هكذا كانت قصتى مع أبيك وأخيك، وعشت بعد ذلك أرويك من حنانى وعطفى سنوات حتى انتهى المال الذى كان بين يدى، وعدت مرة أخرى أرعى الأغنام، وعلمتك ذلك، وصبرت على ما ابتلانى به ربى، حين لم أفكر مطلقا فى لحظة الوداع الغادر.

أرجوك يا طفلى العزيز أن لا تبح بهذا الموضوع لأى أحد مهما كان، وإلا أصبحنا تحت المساءلة والعقاب، وآخر شيء أقوله لك:

أرجو أن تثق فى كلامى، وأن كل حرف نبع من داخلى بصدق يعلمه الله، إنى أحتضر الآن يا بنى وسأتركك وحيداً فى الدنيا، ربما يأتى يوم ويحضر والدك وأخوك وتصدق قولى.

أمسكت أمى يدى وقالت لى بلهفة شديدة: أرجوك أن تخلع قميصك، وتنظر تحت ذراعك الأيسر بجوار قلبك، ستجد ختماً خاصاً بأبيك مثل الوشم، قام به والدك عند مولدكما، وهو عبارة عن رأس حصان ذى ذيل ضخم ومنقوش عليه اسمكم أنتم الثلاثة: وضاح ، وعهد، ورماح، وتحت هذا الوشم اسمى أنا والدتك وهذا الوشم موجود عند أخيك أيضاً، وأعتذر لك يا بنى لأن هذا كل ما تملكه من الدنيا، لقد غاب عنى أيضا أن أسجل اسمك فى سجل المواليد وأستخرج لك شهادة ميلاد، ثم قالت فى ضعف: إن هذا الوشم سيجعل والدك يتعرف عليك بسهولة فى أى مكان، هذا هو يا بنى كل شيء، أعترف به الآن؛ لأنى سأقابل ربى وأرجوك

سامحنى، وليتولك الله برعايته؛ فإنه الرحمن الرحيم، إنى أشعر بالموت يقترب منى لشدة ضعفى وكثرة بكائى ليلاً ونهاراً حتى ضعف بصرى ونحل عودى وجفت الدماء فى عروقى، كنت أتمنى من الله عز وجل أن يأتى يوم أرى فيه والدك وأخاك قبل وفاتى، إنى يا طفلى العزيز ألعن اللحظة التى أتى فيها إلينا هؤلاء الباحثون من الفضاء، لقد أطعت قلبى ولم أفكر أبداً أن مثل هذه اللحظة سوف تأتى وتأخذ كل من أحببتهم دفعة واحدة، وهاأنذا أكرر اللوم لنفسى على اختيارى الخاطئ، وليس بيدى أن أغير ما كتبه الله لى، والآن أشعر بأن شيئاً ثقيلاً انزاح عن صدرى بعدما رويت لك هذا السر.

ثم قالت بضعف: لى رجاء عندك يا ولدى.

قلت لها مسرعا: أمرك يا أمى.

قالت: تعلم... أرجوك تعلم.. ولا تنس أبداً أن لك أخاً توأماً، ربما يأتى يوم وتراه.

وفجأة سقط رأسها على صدرها، لقد ماتت المسكينة، ماتت حسرة على حبها وشبابها وولدها، وعلىَّ أنا أيضاً؛ فلم يكن لى سواها.

بكيت أمى أياماً وشهوراً، لقد أصبحت يتيم الأبوين، محروماً من الأخ، وليس لى فى الدنيا غير صديقى الذى يكبرنى بعدة أعوام، وأغنامى التى أرعاها بدلاً منها.

لقد بكيت عليها كثيراً، كنت خائفاً، خائفاً إلى درجة لا يعلمها إلا الله.

عشت بعد وفاة والدتى، أحاول تدبير أمر لقمة العيش قدر استطاعتى.

كانت كلمات أمى ترن فى أذنى، خاصة وهى تطلب منى أن أتعلم، وذات يوم طلبت من جدة صديقى أن تذهب بى إلى المنطقة التعليمية لأسجل اسمى بالمدرسة حتى أنال قسطاً من التعليم لأريح أمى فى قبرها، فقد كانت وصيتها تطاردنى طول الوقت، وفعلاً ذهبت بى السيدة

العجوز فى كل مكان تحاول إدخالى أى مدرسة فى أى بلد، حتى المدينة ذاتها، ورغم تكاليف السفر، لكنها لم تبخل علىَّ، واصطحبتنى إليها جميعاً، وطرقنا كل باب بلا أى فائدة، وجميع المحاولات باءت بالفشل لأسباب كثيرة، منها أنهم طلبوا رؤية ولى الأمر، كما طلبوا أوراقاً وصوراً، طلبوا شهادة ميلادى الذى لم تسجله أمى بأى دفاتر، فكانت رحمها الله لا تعلم بهذه الأمور، وكذلك أبى الذى لم يفكر بها لكونه غريباً عن عاداتنا وأرضنا، وأصبحت مجهول الهوية، وقفلت جميع الأبواب فى وجهى، وماتت وصية أمى كما مات معها أملى فى التعليم.

تركت الأمر لله، واكتفيت بصديقى والجدة الطيبة وعملى، ورضيت بقدرى، ومرت سنوات طويلة حتى اشتد عودى، وكنت أجلس خلف كوخى مع صديقى الذى أصبح لا يفارقنى أبداً خاصة بعد وفاة جدته، وكان يقضى معظم وقته معى بعدما يفرغ من عمله، وأثناء جلوسنا

ونحن نتسامر فى هدوء سمعنا صوت فرقعة شديدة، وكأن قنبلة هوت على الهضبة، رجت الأرض رجة شديدة، ثم رأينا شيئاً يلمع بشدة، أضاء جزءاً كبيراً حولنا، وهرعت مع صديقى من نافذة الكوخ إلى داخله، وقفلنا الكوخ من كل ناحية، وتسترنا به خائفين، لا نعلم من أين أتى هذا الصوت، وبعد لحظات سكن المكان وهدأ كل شيء، وعادت لى الطمأنينة بعدما قال صديقى ربما إطار سيارة نقل قد انفجر، وتجاهلنا ما حدث تماماً، ومرت ثلاثة أيام بعد ذلك، وحضر صديقى إلىَّ فى المساء ممسكاً بيده أرنباً برياً كبيراً، قال لى: تعال يا عهد .. انظر ما اصطدت اليوم، إنه غذاء فاخر لنا، وسيكفينا لمدة يومين.

فرحت لفرح صديقى، وأخذنا نجرى وراء بعضنا تعبيراً عن الفرحة، وقلت لصديقى: من سيطهو؟

قال لى: طبعا أنا، فأنا أريد أن آكل أكلة شهية وبما أنك لا تعرف الطهو كما أعرفه أنا، إذاً سوف أكون الطاهى اليوم.

وفعلاً أتم طهو الأرنب، وجلسنا نأكله.

وفجأة سمعنا طرقاً قوياً على باب الكوخ، وأسرعت لأفتح الباب، وفوجئت بفتى طويل القامة، صحيح البنية، مهيب الطلعة، يرتدى ملابس تشبه ملابس الإحرام فى طريقة ارتدائها، ولونها بنى فاتح، وفى قدميه نعل من اللون نفسه، ولا أعلم من أين أتى هذا الفتى، إنها أول مرة أجده فى منطقتنا .

قلت: أهلاً وسهلاً... تفضل.

وفعلاً دخل الكوخ، واستقبله صديقى بحفاوة كأنه يعرفه من زمن.

قلت للضيف: تفضل شاركنا فى الطعام.

لكنه رفض بإصرار شاكراً لنا، ثم سألته: هل من خدمة أؤديها لك؟

فأجاب: نعم إنى أبحث عن سيدة تدعى نرجس، تقطن كوخاً فى هذه المنطقة، وعندها ابن اسمه عهد، وأبحث عنهما لأنى أحمل لهما رسالة من شخص عزيز عليهما

وقعت هذه الكلمات على نفسى وقعاً لم أتبينه فى بادئ الأمر، وسألته: ممن هذه الرسالة؟

فقال: لقد قلت لكما إنها من عزيز عليهما.

طلبت من الفتى الجلوس، وقلت له: أنا ابنها ولقد توفيت منذ سنوات، فرجاء أن تعطينى الرسالة.

رد الفتى عليّ باقتضاب شديد: إنك كاذب.

وتقلصت عضلات وجهه، ورأيت دموعاً فى عينيه، وصرخ صرخة كأنها تخرج من حلق

أسد، وقال: لماذا يا أمى؟ كنت أتمنى أن أراك قبل أن ترحلى.

وجلس على ركبتيه، وهو يتمتم بهذه الكلمات، ثم انتفض خارجاً من الكهف إلى الهواء الطلق، فارداً ذراعيه على آخرها، ورفع رأسه إلى السماء، وهو يصرخ: لماذا؟ لماذا لقد تأخرت يا أبى كثيراً علىّ؟ إنى لن أسامحك أبداً.. يا أمى يا أمى أين أنت؟ لقد قطعت كل هذه المسافة بمجرد أن علمت بوجودك، كنت أتمنى أن أشبع من حنانك، وأرتمى فى أحضانك.

ثم أسرع بالاختفاء عن أعيننا، وأسقط فى يدى، ونظرت إلى صديقى وقلت له: هل تفهم شيئاً؟

قال باستغراب كبير: لا والله، إن هذا لأمر غريب!! إذا كانت السيدة التى سأل عنها هى والدته، فأنت إذا أخوه.

وانتبهت فى الحال، وقلت: نعم .. نعم إن المفاجأة جعلتنى لا أتبين القول جيداً.

لقد أدهشنى بحزنه الشديد، واختفائه السريع، وجلست متحيراً يا إلهى ما الذى يحدث؟ وتذكرت بسرعة كلمات والدتى وقولها بأن لى أخاً توأماً، وأن والدى أخذه منها، وذلك لأسباب عديدة منها أنه لا يمكن أن يعيش لاختلاف أجهزة جسمه عنا، وإذا أراد ذلك فسيكون لفترة، ويكون خلالها تحت أجهزة معينة لتجعله يبقى على كوكبنا كما شرح والدى لأمى فى الرسالة التى تركها عندما اختفى.

إذاً هل يكون فعلا هو أخى؟ وإذا كان فلماذا تركنى؟ وكيف جاء؟

وتذكرت بعد تفكير عميق الصوت الذى دوى وجلجل فى الربوة، وجعلها تهتز بشدة، مما أدى بنا إلى الاختباء أنا وصديقى، ونحن فى حالة رعب شديد.

obeikan.com

ربما يكون أخى قد حضر وقتها، ثم بحث عنا خلال الأيام الماضية، وفوجئ بموت والدتنا مما جعله يتصرف هكذا.

وعندما رآنى صديقى مهموماً قلقاً ومتحيراً قال لى: هيا نخرج قليلاً لنتمشى حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً، اترك كل شيء لله.

وقلت له بسرعة: إنه أخى... أتعرف معنى ذلك؟ إنه أخى

وقال صديقى: ولكنى لم أسمع عنه منذ خطفه والدك وفر به إلى بلاده فلماذا عاد الآن؟

قلت له: إنها حكاية طويلة سأقصها عليك فيما بعد هيا نخرج.

وانقضى بعد هذا الموقف عدة أيام أخرى، وقبل شروق الشمس بقليل، سمعت دقات على الباب، وأسرعت بفتح الباب، وكان نفس الفتى، قال لى: أتمانع فى أن نجلس خارج بيتك؟ أريد أن

أكون تحت إضاءة شديدة وأنا أتحدث إليك فهذا يفيدنى .

ووافقته، وخرجت معه، وسألنى: هل أنت ابن السيدة التى سألت عنها؟

فقلت له نعم، وقد أبلغتك ذلك.

فقال لى: ما اسمك؟

قلت له: أنا عهد.

قال لى: هل يمكن أن تكشف قميصك لأرى شيئاً يثبت صدق قولك؟

فقلت له: بكل سرور.

وخلعت قميصى، وقلت له: وهذه هى العلامة والأسماء التى تبحث عنها.

ووقف مواجهاً لى، نظر فى وجهى كثيراً، وهو مبهور مما رأى وظل صامتاً هادئاً ينظر لى متفحصاً، وفجأة احتضننى حتى كاد يعصرنى،

وأنا كذلك بادلته حرارة السلام والقبلات؛ لأنى عرفت أنه أخى بعد بكائه الشديد على والدتى عندما علم بموتها، وجمع بيننا صمت رهيب، كان صمتاً باللسان، بينما قلوبنا تتحدث وتتخاطب، قالت شعراً، وعزفت ألحاناً، وروت قصصاً، وأخرجت آهاتٍ، وتلاحمت وتلاحقت، كأننا عدنا لرحم أمى، وامتزجت دموعه بدموعى، وراحت أنفاسه وأنفاسى تتعانق، لقد تجمدت حواسنا، صرنا نلهث من حرارة اللقاء، وعودة الأخ لأخيه، واليتيم لليتيم، وبعدها جلسنا وقال لى: أنت إذا توأم روحى.

قلت له: نعم.. ليس فقط توأم روحك، بل أنت كل وجودى، نعم أنا أخوك الأصغر منك بدقائق قليلة أنا أخوك الذى حرمنى الله أن أعيش معك ومع أبى.

قال: لا تغضب يا عهد، لقد شاءت الأقدار أن تفرقنا لعدة سنوات، ومن لحظة معرفتى بوجودك، وأنا أفكر بك، وأتمنى رؤيتك

لأحتضنك وأقف بجوارك، لقد قص أبى على كل حكايته مع أمنا، وكان متشوقا لرؤيتكما حزيناً لفراقكما، وفراق حبيبته، كانت قصة حبهما عظيمة وقوية ونادرة، إنها قصة امتزجت ملامحها بالإخلاص والوفاء حتى لحظة رحيل أبى، لقد عانى والدى كثيراً بعد ذلك، ومرض لشدة حزنه على زوجته وعليك، وقبل وفاته أطلعنى بمكانكما وطلب منى أن أرعاكما وأقدم لكما ولأرضكما كل المعونة الممكنة، وها أنا ذا قد حضرت لأكون بجوارك، سأصلح من شأنك، وأرعاك، وأقدم العون والتقدم لأرضك، لتعيش كريماً بينهم، سأبذل أقصى جهدى لأخفف عنك ما عانيته من فقر وحرمان، إنى كبير مهندسى التكنولوجيا على كوكبنا، وأستاذ فى الطب، ولا يصعب عليّ أى شيء فى الكمبيوتر والكيمياء والأحياء والفيزياء والميكانيكا للطيارات والاطباق الطائرة، ولا تقف أمامى أى شفرة يصعب حلها على الفلاسفة والعباقرة .. أنا عالم فى الطب والأعشاب والتكاثر، ومحبوب من

الجميع؛ لأنى قوى متعلم فاهم لمعظم الأمور ولتواضعى وتمسكى بالمبادئ، وعندى كل الامكانيات اللازمة للحياة، وعندى أموال لا تحصى ولا تعد .

قال الأخ لأخيه المعلم الغنى: يااااه أدهشتنى يا أخى!! أأنت كل هذا ؟! وصفت نفسك بكل هذه المقدمة الطويلة التى أرجفتنى رعباً من نفسى!! أأنت كل هذا وأنا مازلت أحبو فى دروب الفقر والجهل أشقى من صباحى لمسائى أهلك نفسى من أجل لقمة عيش، كان البرد يقسو على فأرتعش وتصطدم أسنانى ببعضها، ولم أجد ملابس أتدفأ بها ، كنت أمرض وترتفع حرارتى ولا أجد ثمن العلاج، ولا أجد صدراً يضمنى ويحتوينى، لا أب ولا أم ولا أخ يحتضنى يدفئنى أو يواسينى يمسح دموعى يعالجنى ويعلمنى .. أأنت كل هذا؟ أنت الغنى الذى ترتدى أفخم الثياب المطرزة، وأنا أرتدى القديم الممزق الذى يتصدق به الناس علىَّ أو أجده فى

سلة المهملات، أنا .. أنا الذى بكيت ولم أجد أحداً بجوارى، وارتعشت ولم أجد الدفء، خفت ولم أجد الطمأنينة، مرضت، بكيت، تألمت، ولم أجد ضمة صدر ترعانى أو ترويني، نحن ولدنا فى زمن واحد، ومن أم واحدة وأب واحد، لكن أنت من السماء، وأنا من وحل الأرض، أنا الجاهل وأنت العالم، أنا المريض وأنت الطبيب، أنا الشحاذ وأنت السيد، أنا ما اخترت حياتى أبداً ما اخترتها .. لماذا تركتِنى يا أمى؟ لماذا تركتنى يا أبى؟ آه آه .. ومع ذلك أحبك أحبك وأحمد الله لوجودك معى الآن .. فداك نفسى ودمى وحياتى يا أخى، كان اختيارك خطأ يا أمى.

وضمنى أخى مسرعاً إلى صدره، ورفعت رأسى قائلاً: لقد ماتا هما الاثنان وتركانا نعانى الحزن والفراق، لقد قضى حزنهما عليهما.

وضمنى أخى إليه ثم قال: سأجعلك أحسن منى، سأجعل لك الهوية التى حرمت منها، سأسجل

اسمك ومكانتك العلمية فى عقول البشر، سيلجأ إليك كل من أغلق بابه فى وجهك وحرمك من التعليم، ستكون نجماً ساطعاً فى دائرة الحياة، سأكون أباك وأمك وأخاك، سأرعاك حتى آخر لحظة فى حياتى، سأجعل منك موسوعة علمية فى كل المجالات، سيتمنى كل إنسان أن يكون أنت ..

ووجدت نفسى أنام على صدر أخى نوماً هادئاً، وشعرت براحة نفسية عميقة، كنت فى استسلام وراحة بين يديه بعد ما سمعت وعوده التى أتمنى أن تتحقق، وظلت كلماته تتردد فى رأسى طول الوقت، خاصة وهو يؤكد لى أنه سيجعلنى أعظم العلماء على وجه الأرض، إن كلماته الرنانة شفت نفسى وعقلى، ولكنى كنت أحيانا أشك فى وعوده؛ لأن هذا لا يتحقق إلا بمعجزة سماوية، ونحن لسنا فى زمن المعجزات، وأقول فى نفسى: ربما يريد أخى من كلماته ووعوده أن يهدئنى ويخفف وطأة الحزن على قلبى

ونفسى، وعموماً هذا كله لا يشغلنى، ويكفينى أنى أشعر بحبه وصدق مشاعره نحوى، وهذا يساوى كنوز الأرض عندى، وسأكتفى بكل هذه الوعود وما عليّ إلا الانتظار وسأفى بوعدى لأخى وأمى بأن أحافظ على سرهما ولا أبوح به لأحد، حتى لا تتعرض قصتنا هذه للقيل والقال.. سأكتفى بأن أقول لصديقى إن أخى يعيش فى بلاد بعيدة حتى يسير كل شيء فى هدوء من أجل أبحاث أخى التى ستساعدنا فى التقدم وانتشار العلم والتكنولوجيا.

بعد فترة وجيزة سألنى أخى: ما اسم صديقك؟

قلت له إن اسمه صقر، وهو اسم يطلق على أحد الطيور الجارحة الشرسة التى تستوطن الأرض، والكثير منها هنا بالهضبة، ومع ذلك فإن صديقى لا ينطبق عليه هذا الوصف، فهو إنسان رائع طيب مخلص، يحبنى كثيراً وله معى مواقف تنم على الوفاء وحسن الصحبة والتضحية.

حضر صديقى بعد ذلك، وفرح عندما علم بأن وضاح أخى، وسأله أخى: يا صقر، أريد أن تطلعنى بما أنك أكبرنا سناً كيف أسجل اسم عهد فى المدرسة وأى جهة مسئولة عن ذلك؟

قال صقر: إن الجهة المسئولة عن تسجيل أسماء الطلاب الصغار هى الإدارة التعليمية، ولكن تسجيل اسم أخيك فيها يجب أن يسبقه وجود شهادة ميلاد أولا، وهذه تستخرج من مكاتب الصحة، وهذه المكاتب موجودة فى المدينة أو فى المكاتب التى تتبع كل بلدة أو قرية ومحافظة، وأنا أستطيع أن أدلك على العنوان الذى تريده.

قال أخى لصقر: اسمع يا صديقى أرجو أن يكون ما بيننا نحن الثلاثة سراً لا يعلمه سوانا، وإذا بحت به لأحد يكون كل ما بيننا انتهى، وإذا تبعتنى وتكتمت أمرنا ستصبح غنياً بالمال والصحة والعلم والصحبة، وتأكد أنى أعاهدكما أننا لا نخرق أى قوانين أو نضر بأحد أو نسلب

أى إنسان حقه، بالعكس سنكون مع بعضنا أصدقاء أوفياء، نقدم العون للجميع.

فرح صقر بكلمات أخى وأقسم بالله أنه سيظل الصديق الوفى المخلص مدى الحياة؛ لأنه ليس له فى الدنيا سوانا، واطمأن أخى له .. واصطحبنا صقر إلى مقر تسجيل شهادات الميلاد، وانتظرنا خارج المبنى، ودخل أخى، وتكلم مع الموظف المختص، وفجأة خرج الموظف بسرعة مهرولاً من باب المكتب إلى الشارع ثم اختفى، وبدا وهو يسير كأنه قد نوم مغناطيسيا، ورأيت أخى جالساً ومعه دفتر المواليد، وغاب قليلاً ثم خرج من المكتب تاركاً كل شيء، وتوجهنا إلى الكوخ بالربوة، وذهب صقر إلى داخل الكوخ ليعد لنا الطعام، وسألت أخى: ماذا حدث؟

قال بسرور: لقد سجلت اسمك فى دفتر المواليد، وهذه هى شهادة ميلادك، شهادة قانونية مائة بالمائة، معتمدة ومختومة.

سألته بسرعة: أمتأكد أنت أنها ليست مزورة؟

فرد بأدب: لقد عاهدتك أن كل شيء يخصك سيكون قانونياً، ولن أسلب أحداً حقه، بالعكس أنت الذى سلب حقك عندما أغفلت والدتك تسجيل اسمك بدفتر المواليد واستخراج شهادة ميلاد لك، يا أخى كل ما فعلته أنى أعدت الحق لصاحبه بدون أى تزوير.

قلت له: وكيف فعلت ذلك؟

ابتسم وقال: لقد غيرت كل مسلسل الدفتر وكذلك سجلت كل التعديلات على الكمبيوتر.

وانبهرت بكلماته: أفعلت كل هذا فى غضون دقائق؟!

قال نعم: وهذا هو الفرق بيننا وبينكم فالدقيقة عندنا تساوى سنة، نعمل فيها أشياء لا تخطر لك على بال، فاهدأ واترك الأمر لى كما اتفقنا

obeikan.com

فلقد جئت من أجل سعادتك، فلا تسأل كثيراً، والآن أصبح لك رقم مسلسل وشهادة ميلاد.

دخل صقر يحمل لنا الغداء، وطبعاً أعرف أن أخى لن يتناول شيئاً منه، فهو ليس مثلنا، واعتذر أخى بأن لديه موعداً وسيحضر فى المساء وتركنا وانصرف.

قال صقر: ما هذا الذى بيدك؟

قلت له: لقد أصبحت لى شهادة ميلاد كباقى الفتيان، هذه الشهادة التى فعلنا المستحيل كى أحصل عليها، وباءت كل محاولاتنا بالفشل رغم أنها حقى المسلوب منى، لقد فعلها وضاح أخى إنى سعيد بها كثيراً.

فقال صقر: وأنا أيضاً سعيد لدرجة كبيرة؛ لأنك كنت تتمناها منذ زمن، بارك الله في أخيك .

وفى المساء، عاد وضاح ومعه صناديق وحقائب كثيرة مغلقة بإحكام، وقال لى سوف

أحتفظ بهذه الأشياء عندك؛ لأن بها معدات وأجهزة أريدها فى متناول يدى.

قلت له: إن المكان لك، افعل ما تريد.

ثم أعطانى مبلغاً كبيراً من المال، وقال لنا: هل يمكن أن نذهب سويا لشراء بعض الخراف ذكوراً وإناثاً بسرعة؟ أريد أن أحقنها وأجرى عليها بعض التجارب فى إسراع التكاثر وعند عودتكما أكون جهزت المعدات والأمصال والأدوية.

سألته بسرعة: من أين أتيت بالمال؟

قال لى: سألتك ألا تسألنى، ومع ذلك حتى تهدأ نفسك، فقد تصرفت ببيع شيء غالٍ دون أن ألفت النظر لى، وهذا هو المبلغ، فهيا أسرع يا عهد .

وفعلا كان له ما أراد، وأحضرنا الخراف، وهيأنا لها مكاناً لتنام داخله، وابتدأ وضاح فى

حقنها، وخلط الأدوية لها مع الطعام، وأولاها رعايته، وبعد أيامٍ قليلة سمعنا أصواتا وثغاءً وهرجاً ومرجاً، وخرجنا مسرعين تجاه الخراف.

ويالها من مفاجأة!!

إن الخراف القليلة التى اشتريناها تضاعف عددها عشرات المرات بفعل الأدوية التى رفعت معدل التوالد لديها، لقد أنجبت الإناث خرافاً بنسب عالية لم تحدث من قبل، وبسرعة أخذ أخى الطعام الذى أعده لها، وأطعمها، بينما أخذت الخراف تأكل بشراهة، وكان لها منظر يسر القلوب.

فرحنا.. وملأت السعادة حياتنا، إنها أغنام بصحة جيدة، وأصبحت لنا ثروة حيوانية فى غضون أيام، وبعد أيام أخرى وجدنا أن حجمها يزيد بصورة عجيبة، يا لله إن أخى "وضاح"

ساحر عظيم، ياله من شاب، وياله من فتى ذى عقلية ناجحة، وثقافة، وعلم لا يضاهيه أحد.

وجلست مع أخى، وأنا مبهور بنجاحه، ثم قلت له: بارك الله فيك يا وضاح.

فابتسم أخى وقال: الآن سنبيع هذه الأغنام حتى يتوافر لنا المال، لكى نحسن من معيشتنا وأحوالنا، ويكون لنا بيت وحياة ميسورة، هذه هى الخطوة الأولى.

ثم أخرج أخى من جيب سترته شيئاً صغيراً، وسألته مسرعاً: ما هذا يا وضاح؟

قال: هذا كومبيوتر، ولكنه أحدث مما عندكم بمائة سنة تقريباً.

قلت له: إنه صغير جداً.

فأجاب: ولكنه يؤدى كل الأعمال المطلوبة منه على أعلى مستوى من التقدم.

تعامل أخى مع الجهاز الصغير بجدية وبراعة وثقة بالنفس، ثم دون فى ورقة بعض كلمات من الجهاز الذى بيده، وقال لى: توجد بلاد بعيدة عنا بمسافة كبيرة، وشعبها لا يأكل اللحم، ولا يعرف عن الحيوانات أى شيء، إنهم يعيشون على النباتات والخضروات والفاكهة، ولم يتذوقوا طعم اللحوم، ولم يعرفوا أشكالها، ولا أنواع الحيوانات، فلو ذهبنا مسافرين على ظهر سفينة تجارية ونأخذ معنا الأغنام التى فى حوزتنا، سنبيعها لهم بعد ما نذبح عدداً منها ونشويه ليتذوقوها، وأنا واثق أنها ستحوز رضاهم، وبهذا سننجح فى بيع الأغنام، وأنا واثق أننا سوف ننجح، ويتهافت علينا التجار هناك للشراء، وبعدما ننال النجاح المطلوب، ستصبح عندنا ثروة من المال، ونستمر فى تربية أغنام جديدة ورعايتها وإطعامها وتزويدها بالأدوية والأمصال التى سأقوم بتركيبها كالمرة السابقة، وبذلك سنكون من مصدرى الأغنام وكل أنواع اللحوم سواء حية أو مذبوحة.

سألته: وكيف عرفت هذه البلاد؟

قال: سألت هذا الجهاز الذى أطلعنى على كل التفاصيل .

ثم نظرت إلى أخى متعجباً وقلت له: ولماذا كل هذا العناء لكسب المال وأنت..

وقاطعنى أخى بسرعة: اسمع يا عهد أنا أعرف أنه بمقدورى أن أغنيك وأقدم لك أموال طائلة دون أى تعب، ويمكننى أن أدخل على أى أجهزة كومبيوتر فى البنوك الموجودة هنا أو فى أى مكان بالعالم، وبمقدرتى فك شفرتها وسحب أى أرصدة مالية موجودة عندهم وأعطيها لك، لكن هذا يعتبر سلب حق ليس من حقنا، وأنا أريد أن أعلمك التجارة فى الشيء الذى تحبه فرعاية الأغنام هى هوايتك وعملك المفضل، والمال سيأتى من عمل يديك وبمجهودك، فنحن عندنا كل العلم لكى نكون تجاراً ومصدرى لحوم وأغنام وكل أنواع الحيوانات، فلماذا

نسرق وفى يدنا ما يجعلنا أغنياء؟ إن المال ليس له قيمة إذا لم تكن أجهدت نفسك فى الحصول عليه، وسيكون له طعم أجمل بكثير من أن نأخذه عنوة من أصحابه.

لقد كان درساً تعلمته من كلمات أخى التى فرحت بها لأنها صادقة قوية مهذبة، علمتنى فى لحظات الاعتماد على النفس والأمانة..

وفعلا نجحنا نجاحاً باهراً، وبيع كل ما كان بحوزتنا بمبالغ تعتبر أضعاف أضعاف ما كنا نحلم به، وطلب التجار من أخى مجموعات كبيرة من الأغنام بصفة مستمرة، وكان أخى متحدثا لبقاً فى الحوار مع المسئولين فى هذه البلاد التى سافرنا إليها، وجمعنا نحن الثلاثة المال، وعدنا إلى السفينة التى كانت بانتظارنا لنبحر إلى بلادنا منتصرين فرحين.

ولأول مرة أجد "صقر" يعانق أخى ويقبله ويقول له: لولاك ما أحرزنا كل هذا النجاح، لقد

أصبحنا أغنياء سنأكل كل ما نشتهيه، ونلبس كل ما أردنا أن يكون لنا من ملابس، وأخذ يجرى شمالاً ويميناً، ونحن نضحك عليه من شدة سعادته وفرحته .

بدأت السفينة فى الإبحار، وكل شيء هادئ ومياه البحر جميلة والأمواج تتهادى فى بطء خلف بعضها فى جمال وإبداع، وصوت الأمواج يبعث على الراحة والسكينة، وقد قارب الوقت على المغرب تقريباً، وفجأة وجدنا السفينة ترتطم بصخرة كبيرة، اهتزت لها كل الأركان وانطفأت الأنوار، وتعطلت السفينة وساد بيننا فزع رهيب، وهرعنا إلى سطح السفينة فى عجلة لاستكشاف الأمر.

لقد وقع المحظور، قيل لنا إن الموتور تعطل أيضا بسبب الارتطام الشديد، ووقفنا فى عرض البحر لا نعلم ماذا سيحل بنا، إن كل شيء حدث فجأة، وكان الهدوء الجميل قبل الارتطام هو الهدوء الذى يسبق العاصفة.

نظرت لأخى وقلت له: ما العمل؟ إن البحر هائج وثائر، لقد ارتفعت الأمواج، وأخذت تلفظ مياهها فوق السفينة، واحترقت أجزاء ليست قليلة بالموتور، وحدث هرج ومرج وغطى المكان الضباب، وحجب الرؤية، وتشبث بعضنا ببعض خوفاً من الغرق.

وقال أخى: لم أكن أعلم أن هذا سيحدث، لكنى سأوفق إلى إصلاح العطب بسرعة.

أخذ أخى طريقه مسرعاً إلى الربان، وقال له بعض الكلمات بالإنجليزية، فسمح له بالدخول لغرفة الآلات، وتعامل مع الموتور بكل حذق وفن وأخرج من حقيبته، التى لم تكن تفارقه أبداً، أشياء ومعدات، وبسرعة تمكن من إصلاح ما أفسده الارتطام، وأعاد الكهرباء إلى طبيعتها، وبدأنا فى التحرك ببطء وسط الضباب، واستعان الربان بالكشافات الخاصة بالضباب، وشكر أخى على تعاونه، وسأله: من أين لك كل هذا العلم؟

فقال أخى: من عند الله، فلا تقلق، إنها أشياء تحدث كثيراً، كما أنى عملت فى إصلاح السفن وقتاً طويلاً.

ودخلنا إلى المقصورة الخاصة بنا، وفرح كل الموجودين بشجاعة أخى، وتعاونه فى إنقاذ حياتهم، وفى اليوم التالى لم تظهر الشمس، وظلت محتجبة وراء السحب، وكأن الدنيا باتت فى ظلام، وأصبحت فى ظلام حتى الظهر، وسمعنا تحذيراً من الربان بأن المنطقة القادمة منطقة صخور، واعتذر لتغيير مسار السفينة ليتفادى هذه الصخور، وأمر كل الموجودين من خلال الميكرفونات بارتداء سترات النجاة تحسبا لأى طارئ يحدث.

وبعد مسافة طويلة، اطمأن الربان والبحارة، وأبلغنا أننا قد تركنا منطقة الخطر، ومن فرحتى بهذا الخبر ذهبت مسرعاً إلى أخى لأبلغه بما سمعته فوجدته فى حالة إعياء شديدة وضعف وبلهفة سألته ماذا بك فداك نفسى وروحى هل

أنت مريض؟ هل حدث لك أى مكروه ؟ وهمس أخى فى أذنى لم أكن أعلم أننى سأمكث كل هذه المدة على ظهر السفينة، إن ميعاد تعرضى للضوء قد فات منذ يومين، وأنا محتاج لضوء شديد وكان ضوء الشمس يعوضنى، لكنها غائبة وأريد ضوءاً مباشراً قوياً أمام جسدى بأقصى سرعة وإلا فنيت فى الحال.

وجدت نفسى ألطم خدى، وأضرب رأسى بالحائط، أبكى وأصرخ، ثم قلت: لا لن يحدث هذا، لن تموت.

وصرخت أنادى "صقر": أغثنى بسرعة وامسك معى "وضاح" لنصعد إلى سطح السفينة، ولم ينطق صديقى بكلمة احتراماً للموقف، وأخذنا أخى إلى سطح السفينة، وناديا الموجودين ليحضروا كل شيء يمكن إشعاله وأحضر صقر وعاءً كبيراً، وألقينا خشباً وورق كرتون وعلباً فارغة من الورق، وقلت للموجودين: إن أخى يعانى من مرض بالدم

وتحدث له نوبات مميتة إن لم يتعرض لضوء شديد فرجاء زيدوا من إشعال النار وفى لمح البصر ألقى الموجودون بكل ما يمكن أن يساعد فى الاشتعال، حتى بعض ملابسهم ألقوها فى الوعاء بصدر رحب وحب عظيم، وصب "صقر" الكيروسين فوق الملابس والأخشاب وكل ما جمعوه وأشعل النار، وأنا أمسك بأخى أحاول مساعدته فى أن يقف على قدميه، وساعدنى الرجال ليسندوه معى واشتعلت النار، وانبعث منها ضوء شديد وأخذ الضوء يتسلل إلى جسد أخى وهو يقف مستنداً لا يقوى على رفع رأسه كانت لحظات صعبة حقاً، فالموت أقوى من كل شيء، أقوى من التكنولوجيا، وأقوى من العلم والذكاء.

"سبحان الله" تعالت قدرته وعظمته، كل مخلوقات الدنيا لها لحظة تنتهى فيها الحياة ليعود الكل إليه سبحانه، طالت وقفة أخى حتى بدأ يرفع رأسه رويداً رويداً ويقف على قدميه

فجأة، وكأن مارداً قد خرج من الأعماق، وابتدأت الحياة تدب فى كيانه، والكل ينظر إليه مستبشراً.

وفجأة بدأوا يصفقون ويصفرون، والبعض يقول: الله أكبر.. لقد عاد لنا البطل.. أهلا ومرحباً بنجاتك، لقد قاومت مقاومة كبيرة.

قبلت أخى وأسعدتنى نجاته كثيراً، ثم دخلنا إلى حجرتنا وساعدته فى خلع ملابسه، لأبدلها له من شدة ابتلالها بالعرق الغزير أثناء تعرضه لوهج النار.

ويا هول ما رأيت!!!

لقد كان تحت جلده عدد كبير من الدوائر مزروعة تحت الجلد... ولم أتفوه بكلمة لأن حالة أخى لا تسمح بالشرح وقلت فى نفسى سأسأله عن ذلك فيما بعد.

openkan.com

عندما استقر الوضع بالسفينة.. جلسنا فى حجرتنا إلى أن وصلنا بسلام، فقلت لأخى: كان يجب بكل هذا العلم والتكنولوجيا التى سبقتمونا بها بكثير أن يكون هناك بديل للتغذية إذا غربت الشمس حتى لا تموت وتموت معك كل هذه التكنولوجيا العظيمة والعلوم الجبارة التى تفيد كوكب الأرض ومن يعيش عليها.

رد أخى: إنهم يدرسون الآن كل ما تفكر به، وكأنك واحد منهم، هم فعلا وجدوا البديل، وهو تحت الاختبار الآن، إنه شيء يضاهى ضوء الشمس ودفئها .. والعلماء لن يرتاحوا أبداً فى سبيل إنقاذنا عند زيارتنا لكوكب الأرض، ولكل ذى وقت وقته، وها أنت أصبحت عالماً مثلنا، لقد أشعلت الأخشاب وغيرها لتبعث الضوء الذى أنقذنى من الموت، والحمد لله.

وقلت له: ولكن هذه طريقه عقيمة أنقذنا بها الموقف فقط حتى لا تموت.

قال أخى: اطمئن .. فى زيارتى القادمة سيكون العلماء قد توصلوا إلى حل، اطمئن يا اخى الحبيب واتركنى الآن لأنام.

ثم قبلته وتركته حتى وصلنا بسلام، ثم توجهنا إلى بيتنا فوق الربوة، وأخذنا قسطاً من الراحة، وبدأ أخى يمارس أعماله، وانتهزت أنا الفرصة لأستفهم منه عن الدوائر التى تحت جلده، وسألته: ما كل هذه الأشياء المزروعة تحت جلدك يا أخى وكيف تتحملها؟

فقال لى: بفضلها يمكن أن أعيش على كوكب الأرض، فهى تساعد كل أجهزتى على أن تعمل بانتظام، ولها تأثير جيد على استمرارى فى الحياة.

سألت أخى: لو لم تطلب منى أن أعرضك للإضاءة فى الوقت المناسب، ولم تمكنك حالتك من الكلام، فماذا كان سيحدث لى لو ضعت

منى؟ كنت حتما سأضيع....أرجوك أن تعمل حسابك فى هذا الشأن بعد ذلك.

قال أخى: سيكون لك هذا أيها المحارب الصغير، لقد حاربت من أجلى بضراوة وصبر حتى أعدت لى الحياة، ولن أنسى لك هذا..

قلت فى تعجب: إنه شيء بسيط بالمقارنة لما فعلته أنت لى، إنى على استعداد لأعطيك روحى؛ فأنت عندى أغلى من كل شيء.

ثم تصافحنا، وقبلنا بعضنا بشوق كبير.

قال لى وضاح: سنستريح قليلاً من عناء هذه الرحلة، وبعد ذلك نرتب لعمل آخر.... والآن إليك الدرس الثانى .. سنشترى بهذا المال الذى جمعناه قطعة أرض فوق الربوة وسنبنى بيتا جميلاً بجوار الكوخ الذى شهد أجمل قصة حب لأبى وأمى بين السماء والأرض، والذى أثمر عن وجودنا نحن التوأمين اليتيمين.. ونفرشه بأجمل المفروشات، وسيكون لى جناح خاص،

به معملى وحجرة نومى ومكتبى، وسأعمل على بناء مكان بالسطح يساعدنى على مواجهة الضوء بدرجة كافية لتغذينى وتقوينى، وسأزرع خلف المنزل زهوراً ووروداً نادرة، وكذلك شجيرات غالية الثمن لها عبق قوى أحضرت بذورها معى، إن عبق هذه الزهور يعيش لشهور، وفعلاً حدث هذا بسرعة، وأصبح لنا البيت والمزرعة والحياة التى تمنيتها ..

يالك من أخ يا وضاح!!

أتمنى أن أكون فى رجاحة عقلك وذكائك وقوة شخصيتك.

ملأت رائحة الزهور المكان جعلتنى، أشعر كأنى فى الجنة.

وفى صباح يوم جميل، استيقظت لأجد وضاح أخى يجمع بعضاً منها فى لفافات، وقال لى: هيا يا عهد أسرع أنت وصقر سنسافر إلى المدينة الآن لنبيع هذه الورود النادرة.

أطعت الأمر فى الحال، وقابلنا المسئولين بالفنادق والشركات والأماكن السياحية، وقد بهروا بجمال الزهور النادرة والشجيرات ذات الألوان الرائعة واشتروها فوراً وطلبوا المزيد منها، وجمعنا مالاً وفيراً من بيعها، وأصبحت الأماكن التى اشترت منا الورود ومنتجات مزرعتنا تتهافت علينا لتحظى بالكثير منها، وذاعت شهرتنا، وانتشرنا انتشاراً واسعاً لحسن معاملتنا للتجار والمستوردين، فأنشأنا شركة لتصدير الزهور والشجيرات إلى معظم الأماكن القريبة والبعيدة وأسمينا شركتنا "التوأمان للتصدير"، وبحث أخى فى كل الأماكن التى ينقصها أى نوع من السلع حتى يقوم هو على تصدير المتاح لدينا منها.. حتى الملح نسوقه لبلاد لا تعرف الملح، وكان أفراد شعب هذه البلاد يرتدون مناشف حول رقابهم، لأنهم لا يتحكمون فى لعاب الفم، ولا يعرفون أن الملح معالج لهذه الحالة، كل ذلك بفضل الأجهزة التى يمتلكها أخى، وتدله على الأماكن، وتكشف له

طبيعتها وتاريخها وأرضها ومناخها، ويبدأ وضاح بدراسة كل هذا ليحدد لنا العمل الذى نمارسه تجاه هذه البلدان، وكيفية المساعدة لنمدهم باحتياجهم.

ذات يوم أحضر أخى مجموعات كبيرة من الكتب تبدأ من الحضانة إلى الجامعة، وكتباً أخرى خاصة به، وعلبة بها صفائح معدنية صغيرة الحجم مرقمة ومرصوصة بصورة جميلة.

ثم قال: يا عهد، لقد أصبح لدينا المال الذى يمكننا أن نعيش حياة كريمة، لقد علمتك التجارة والزراعة، وطريقة الحوار الصادق بين الناس، لتكون لك سمعة طيبة، والآن جاء دور العلم.. لقد أحضرت لك كل الكتب المقررة عليك من سن الطفولة حتى الجامعة وهذه العلبة بها اسطوانات كما تسمونها، مسجل عليها كل العلوم التى أريد أن تتعلمها، سوف أعلمها لك كلها بطريقتى وبسرعة فائقة فما رأيك؟

خفت وارتجفت وسألته متعجباً: أكل هذه الكتب والاسطوانات سأتعلم ما تحتويه.. كيف ومتى؟!

قال أخى: نعم وبسرعة فائقة، ما دمت أنت ستساعدنى فى تلقيها بالصورة التى أريدها، وسيكون ذلك فى وقت لا تحلم به، ولن نضيع الوقت، سأجعل منك فارس القلم الأول، ستكون الشاب الذى نال وسينال أعلى الدرجات العلمية.

سألته بسرعة: وكيف ذلك وأنا لا أملك أى شهادات سابقة؟ كيف سيعترفون بى؟

قال لى: سيكون لك كل ذلك بعد أن تدرس محتويات هذه الكتب، سأسجل اسمك فى الشهادات الخاصة بك، وأدخلها بالكومبيوتر وسيكون لها أرقام مسلسلة وصحيحة وغير مزورة كما فعلت فى شهادة الميلاد، وهذا حقك الذى تستحقه، خاصة بعدما تتلقى العلم، وستكون كل هذه الكتب وكل المعلومات التى لا يعرفها أحد عندكم حتى الآن محفورة برأسك،

وسأجعلك تدخل مسابقات عديدة فى الثقافة والعلوم لألفت الأنظار لك؛ لأنك ستجتازها كلها بنجاح..

انهلت على أخى أقبله وأقبل يديه وهو يبادلنى القبلات والأحضان لهذا الموقف الإنسانى النبيل.

بدأت المعركة مع العلم، كنا نجلس ما يقرب من عشر ساعات كل يوم، وكان أخى يعطينى بعض الأدوية التى كان يقوم بتركيبها بنفسه، والتى كانت تجعلنى أشعر بصفاء الذهن والتركيز، وكان "صقر" يجلس معنا أحياناً لينال هو أيضا من العلم على يد أخى، كما كان يقوم على خدمتنا، ويقدم لى الحليب والطعام والفاكهة، ثم نخرج نلهو ونتنزه ونمرح.

لقد عشت طفولتى التى حرمت منها، أكلت ما لذ من الطعام الذى تمنيته، ولبست كل غالٍ وثمين، وبدأت أحب الحياة، وأشعر بالنشاط يدب فى

جسدى وعقلى وذهنى، وأصبح القلم فى يدى طوع أمرى، أسجل به العربية واللغات الأجنبية المختلفة.

تم كل شيء بنجاح عظيم، ثم دخلت الجامعة من أوسع أبوابها، وكان أخى بجوارى يقوم بتعليمى فى كل درجاتها، حتى دخلت غرفة العمليات قبل أى شاب فى سنى، وأجريت العديد من الجراحات بنجاح باهر ليس له مثيل، وبرمجت العديد من برامج الكومبيوتر، وفسرت شفرات لا يقوى على حلها كبار علماء الكومبيوتر والمختصين بالتكنولوجيا، وأتممت حل مسائل حسابية معقدة، كنت أشعر أن أخى داخل عقلى، وهو الذى يجيب عنى بلسانى.

لقد كللت جميع خطواتى بالنجاح الباهر بفضل الله، ووقوف أخى معى بعاطفته وحبه، لقد ساعدنى بإخلاص نادر ووفاء جميل وصبر عزيز، وأعطانى كل المعلومات التى تفوقت بها على أساتذة عظماء.

ذاع صيتى واشتهرت فى كل أنحاء الدنيا، كانت صورى بشاشات التليفزيون تبث فى البلاد الأوروبية تحت اسم العالم الصغير، تهافت على معرفتى الأساتذة والعلماء من كل مكان فى العالم، وكان أخى لا يفارقنى، إنه معى دائما.

وعند عودتنا إلى منزلنا، نستريح قليلاً، ثم يأخذنى إلى معمله، ويساعدنى فى الجلوس أمام شاشات خاصة أتى بها معه، ويضع على رأسى بعض أسلاك متصلة بجهاز خاص، وكأنه يفرغ ما بها فى ذاكرتى، كان يدربنى على العمليات الجراحية الصعبة ويظهر لى الصور واضحة، ويدربنى أيضا على كيفية الخروج من المواقف الصعبة والحرجة أثناء إجراء الجراحات ويدربنى على سرعة الأداء.

إن أخى "وضاح" عظيم في كل شيء، إنه ابن بار وأخ وفى، وأمى لم تخطئ فى اختيار أبى زوجاً لها، لقد اختارت خير خلق الله.

بالرغم من السعادة التى كانت تغمرنى من كل هذا النعيم الذى لم أكن أحلم به فى يوم من الأيام، إلا أنى كنت ألاحظ أن أخى مهموم وحزين وغير سعيد كما كان من قبل، وشغلنى تفكيرى به.. ماذا حدث له ؟ هل هو مريض ؟!! ولكنه لا يمرض فعنده لكل داء دواء ، هل فعلت له أنا أو صديقى شيئاً أغضبه ؟ لقد كنت مثل الخاتم فى إصبعه، أطيعه فى كل ما يطلبه، ولم أخذله أبدا فى أى شيء، حاولت أن لا أقتحم عليه نفسه وأنبش فى خصوصياته ما دام الأمر لا يتعلق بأن أكون أنا سبب همه وحزنه، وقلت فى نفسى سوف يهدأ بعد قليل لأنى أعرف أخى جيداً، أكيد أمامه مشاكل فى الأبحاث التى يجريها على كوكبنا، وهو يركز فى إيجاد الحلول المناسبة لها، أو ربما قابلته صعوبات وأخطاء يحاول أن يتداركها، سوف أنتظر ربما هو نفسه يطلبنى ليطلعنى عما به.

مرت شهور كثيرة وأخى لم يتغير أو يعود طبيعياً كما كان، بالعكس كان همه يزداد، وكلما نظرت فى عينيه يشيح بوجهه عنى، وكأنه يخاف أن تتلاقى أعيننا ويفتضح ما يخبئه فى صدره.

تركت الأمر جانبا واكتفيت بالدعاء له فى صلاتى، وأثناء ذلك أصبحت شاباً وسيماً ذا مال وثقافة وعلم وتفوق.

فى إحدى الليالى جاءنى تليفون يتعجلنى للسفر إلى أحدى البلاد الأوروبية فى مؤتمر أنا ضيف شرف فيه، وعرضت الموضوع على أخى، فقال: هيا أسرع واستعد، أريدك أن تكون "عهد" الذى عهدته.

قلت له متعجباً: هذه ليست عادتك أتتركنى أسافر وحدى ؟!!

فقال لى مبتسماً: من الآن ستكون بدونى فى كل أعمالك، فقد أصبحت أخى الذى تمنيت أن يكون

أستاذاً فى كل شيء، وأنا واثق أنك أقوى من كل المواقف، هيا هيا أيها العالم الشاب الذى تفوق على نفسه.

وتعانقنا عناقاً حاراً، وسافرت على إحدى الطائرات المتجهة إلى مكان المؤتمر، وأثناء الرحلة بدأت أحضر لجلسة الاجتماع على الكومبيوتر الشخصى الذى أحمله معى، وبينما أنا منهمك فيما أكتبه، لمحت بطرف عينى فتاة فى عمر الزهور على المقعد المجاور لى، كانت جميلة أنيقة تركز فى مجلة بيدها على الكلمات المتقاطعة، وتبدو شاردة، بينما هى تبحث فى ذهنها عن حل رموز هذه الكلمات، ورأيتها حائرة ولا تعرف الإجابة، ونظرت خلسة إلى المربعات التى أمامها ووقع نظرى على الكلمة التى حيرت الفتاة، وهى سبعة أحرف، لاسم حيوان مائى، وبسرعة وجدت نفسى أقول لها الاسم، وصرخت هى من المفاجأة والفرح للعثور على الكلمة التى تبحث عنها منذ وقت

طويل، وضحكت قائلة فى شقاوة: برافو هذه هى الكلمة، ثم نظرت إليّ ونظرت لها، وتبادلنا صمتاً جميلاً، لقد أذهلتنى بجمالها ونقائها وبساطتها، وشقاوة ضحكتها وهى ترفع شعرها للخلف فى خفة وبساطة، إنها نادرة كزهرة جميلة تملأ المكان بالبهجة والفرحة والحب.

واستمرت نظراتها نحوى، وكأنها تقرأ ما يدور فى نفسى ثم قالت: ما اسمك؟

قلت لها: اسمى عهد.

فقالت بسرعة: يا له من اسم جميل ونادر!!

قلت لها: ولذلك أسمتنى به أمى لأكون نادراً بين الناس، وأنت أيتها الجميلة.. ما اسمك؟

فقالت اسمى "نيرة" طالبة فى السنة الأخيرة بمعهد الموسيقى، والآن أسافر للعزف على البيانو مع مجموعة من الشباب.

obeikan.com

سألتها فى هدوء وبابتسامة لها مغزى فهمتها هى بسرعة أيضاً، قلت: هل فعلاً أنت عازفة ماهرة؟

قالت: نعم هل تريد سماعى ؟

قلت: متشوق لهذا.

فأجابت سوف تكون ضيفى فى الحفل إن شاء الله، وأؤكد لك أنك ستبهر انبهارا ليس له حدود.

فقلت مغازلاً: أكيد... فأنت فعلا بهرتنى بسحر حديثك.

وضحكنا بسعادة، وشعرت بأن كيوبيد الحب أصابنا نحن الاثنين .

تبادلنا الحديث، سألتها: من أين أنت؟

قالت: أنا من الإسكندرية، وبيتنا على شاطئ البحر، إنه بيت جميل به كل عائلتى.

وتبادلنا التعارف، وتقاربت قلوبنا بسرعة فائقة.

obeikan.com

تحدثت عن عملى، ومركزى الاجتماعى، وعن الربوة وجمالها، ومنزلى، تحدثت عن حبى لأخى، ولصقر صديقى، وطبيعى لم أبح بقصتى كاملة، فقد أخفيت الجزء الذى وعدت أخى وأمى بعدم البوح به لمخلوق أياً كان، ولم أعرف لماذا بحت لها بكل هذا، وكأنى أعرفها منذ سنوات..

وكلمتنى هى أيضا عن حياتها، والأشياء المفضلة لديها، وهكذا تم التآلف بيننا، ووجدت قلبى يرتاح، وعقلى فى حالة استسلام تام، واستكانت نفسى وهدأت روحى.

إذاً هذا هو ما كان ينقصنى .. الحب، الفتاة التى ستكمل مشوار حياتى، الفتاة التى تعشقنى وأعشقها، أحبها وتحبنى، وتكون الزوجة والأم، الحبيبة والصديقة، ووجدت نفسى أحمل حقائبها مع حقيبتى، وأمسك يدها، وننزل سويا من الطائرة، وكأن القدر جمعنا.

أخذنا نتسامر طول الطريق، تسألنى وأسألها، ونتبادل النكات والضحك والمعلومات التى جعلتها تكن لى الاحترام مع الحب، حتى وصلنا إلى المكان الذى سأنزل به، وهو أحد الفنادق الفاخرة، وودعتها ونحن على موعد لتناول العشاء فى الفندق.

أخذت عنوان إقامتها لأرسل من يقوم بإحضارها بعد العمل الذى جاءت من أجله، وسمعت عزفها، وتقاربت مشاعرنا بسرعة عجيبة.

عدنا إلى الوطن وأول شيء فعلته هو إطلاع أخى وصديقى بحبى لنيرة.

ذهبت طالباً يدها من عائلتها، وحملت معى لهم الهدايا الثمينة القيمة..

فرحت عائلة "نيرة" بى لأنهم عرفوا وسمعوا بشهرتى، وكانت الموافقة والفرحة كبيرة، وأثمر هذا عن حفل عرس ليس له مثيل، كان المهنئون

نخبة من المثقفين والعلماء والأطباء والتجار والإذاعيين والصحفيين والفنانين، حتى رجال الدين لم يبخلوا على بتهنئتهم.

لقد كانت ليلة كليالى الملوك والأمراء، وكانت سعادة أخى بى ليس لها حدود، ووجدته لأول مرة يقول مثلما أقول: الحمد لله .. اللهم إنى فعلت ما أمرت به بكل نجاح فلتهدأ روحك يا أبى، ولتهدأ روحك يا أمى، ولتعلمى أن كل ما فعلته لأخى هو تكريم لك لتغفرى هجر أبى لك، وتسامحيه، واحتضنت أخى وقبلته شاكراً عطفه وحنانه.

انتقلت زوجتى إلى بيتى، وأصبحنا أربعة، أنا وأخى و"صقر" و"نيرة" وعشنا أياماً جميلة.

ملأت نيرة المكان دفئاً وحناناً، وكانت كزهرة جميلة ببيتنا، نسمع ضحكها ونرى شقاوتها، وأضافت البهجة والسرور والاطمئنان لنا جميعاً.

ذات يوم دخلت على أخى معمله الذى كان يلازمه منذ أيام، كان معتكفا على دراساته وعندما رآنى قال: أهلا بك يا عهد تعال أريد أن أحدثك فى شيء مهم، لقد أنجزت كل الأبحاث الخاصة بالأرض التى كلفت بها من قبل علمائنا، ودونت كل شيء فى هذه الأوراق وسجلتها على اسطوانات بشفرة معينة، إنها أبحاث ناجحة فى انتشار الخير والعلم والعلاج وتحسن البيئة الأرضية، إنها لك يا أخى، كذلك معملى، لقد جهزته بكل الوسائل العلمية المتقدمة، سوف يفيدك كثيراً فهو لك أيضاً ، لقد اطمأننت عليك الآن وهدأت نفسى، وكان توعكى فى الأيام التى مرت سببه هو أننى يجب عودتى وبسرعة إلى موطنى، لقد آن الأوان لذلك فلم يعد لوجودى معنى الآن، إنك نلت الشهرة والمال والنجاح والعلم والزوجة التى ستحل مكانى فى رعايتها لك رغم أنك غير محتاج الآن لرعاية أحد، لأنك أصبحت ناضجاً بما يكفى، وقريباً سيكون لك الأولاد الذين

بوجودهم يملؤون عليك البيت والحياة، ولا تنس أن تسميهم بأسماء والدك ووالدتك واسمي لنظل فى الوجدان ما حيينا.

جلس أخى متجهما يرتجف بعد هذه الكلمات، ويا هول ما سمعت، لقد لطمنى على رأسى، لقد مزق أحشائى، لقد غرس سكيناً حاداً فى قلبى، إن كلماته جعلت كل خلجة فى جسدى ترتعش، إنه يريد أن يفترق عنى، يريد أن يتركنى وحيداً مرة أخرى بعدما أرسله الله لى ووجدت نفسى أصرخ وأصرخ، وقلت: لا بالله عليك لا تتركنى، إنى لا أريد أى شيء فى الوجود سواك لا المال ولا الجاه ولا العلم والشهرة ولا الصديق ولا الزوجة، أنا أريدك أنت، لن أعوضك ما حييت، لا ، أرجوك أتوسل إليك.

والتصقنا ببعضنا وبكينا وبكينا وبكينا، حتى ماتت أطرافنا ونحن نمسك ببعضنا بقوة نتحدى بها كل الوجود لكى لا نفترق، ومكثنا كذلك وقتاً

طويلاً، ثم تكلم أخى وقال: أتكن لى كل هذا الحب يا عهد؟

قلت: نعم ... أتوسل إليك.. ارحمنى ولا تتركنى مرة أخرى.

فقال: سأفعل... سأكون بجوارك ما تبقى لى من العمر، مهما كلفنى هذا فحياتك وفرحتك وابتسامتك وحنو قلبك هى كل سعادتى، وليس لى غيرك لأضحى من أجله.

ثم تنهد وقال: سأضحى يا عهد.. فاهدأ نفساً سأكون بجوارك حتى آخر نفس فى صدرى.

ملأت الفرحة قلبى وعقلى وعيونى، وقبلت يديه وأكتافه وجبينه، وشكرته، وتهللت أساريرى، وخرجت بسرعة من المعمل، وهو معى إلى الهواء الطلق، وأخذت أجرى ثم أعود لأجرى مرة أخرى.

obeikan.com

كانت ساعة لهونا هى الجنة بالنسبة لى، وهدأت حياة أخى، وكأنه استسلم لكل شيء.

بعد هذه المقابلة العنيفة بينى وبين أخى، ولحظة عدوله عن السفر، واستجابته لى وعطفه عليّ، عندما رآنى أبكى متوسلاً ألا يتركنى مرت شهور قليلة، وأنجبت زوجتى طفلة جميلة بكل المقاييس، كانت الطفلة تشبه أمى رحمها الله فى جمالها ولون شعرها ولون عينيها، وفرح أخى بها فرحاً عظيماً، خاصة عندما علم أنها صورة طبق الأصل من والدتنا، وقال لى: إن الله لم يشأ أن أترك الحياة دون أن يطلعنى على وجه أمى، إنها نفس الأوصاف التى وصفها لى أبى عندما كان يقص عليّ حكاية حبه لها، ماذا ستسميها يا عهد؟

قلت: نرجس الصغيرة تخليدا لذكرى والدتنا الحبيبة.

تركنى أخى ودخل غرفة نومه، وانشغلت أنا عنه يوما كاملاً ثم سألت زوجتى: أين وضاح؟

قالت: إنه فى غرفته منذ أمس، وفى الصباح دخل المعمل، وأنت تعلم أن وضاح لا يريد دخول أحد عليه عندما يكون هناك، كما أن هذه أوامرك أيضاً..

انقبض قلبى فجأة ودخلت مسرعا تجاه المعمل وناديت عليه: أين أنت أيها الفيلسوف العالم؟ ألم تكتف بعد من أبحاثك؟ وكأنك تبحث فى جميع الكواكب وليس كوكب الأرض فقط.. أين أنت يا رجل؟ فجأة فى أثناء حديثى هذا سمعت أنيناً ضعيفاً.

وتوجهت مسرعاً إليه فوجدته.. يا إلهى إنه أخى؟؟ إنه "وضاح"، إنه العمر الذى بدونه أموت، إنه النعم التى أعطانى الله إياها، أخذته بين ذراعى وسألته: ماذا بك يا حبيبى؟ ماذا حدث؟

قال فى ضعف شديد: ضعنى فى مرقدى واستمع إلىَّ جيداً، خذ هذه الرسالة ثم اقرأها بعد ذلك وعاهدنى أن تنفذ كل حرف فيها حتى أرضى عنك؟؟ أتعاهدنى؟

ودون تردد قلت: نعم.. نعم؟؟ وكيف لا ! إن طلباتك أمر لى وأنت تعلم ذلك جيدا؟؟ أخبرنى بما حدث.

فأجاب: الآن سوف تتحلل كل خلايا جسدى، سيكون هذا فى دقائق قليلة سترانى كومض البرق، ولن يبقى منى سوى ملابسى والدوائر التى تعرفها، والتى كانت تساعدنى على الاستمرار فى الحياة.

استطرد أخى قائلا: أمرنى أبى قبل رحيله عنى أن أقوم بزيارتك والتعرف عليك أنت ووالدتى، كما أمرنى أيضا ألا تتعدى مدة الزيارة لكوكب الأرض سنتين بالنسبة لحساباتكم، لكنه تحسباً للظروف زودت بهذه الأجهزة الصغيرة

المزروعة تحت جلدى لتجنبنى أى خطر، وهذه أجهزة دقيقة ذات تكنيك عالٍ فى التكنولوجيا تجعلنى أستمر فى الحياة على كوكبكم لو طالت المدة عن المعتاد، وتأخرت عن العودة لكوكبى لأى سبب من الأسباب ولوقت محدود أيضا، وفعلاً حدث وتضاعف الوقت المسموح به، لأنى آثرت ألا أغضبك عندما رأيتك تبكى فراقى، ونزولاً على رغبتك بقيت معك، رغم شعورى بالضعف يسرى فى جسدى.. وحاولت الاتصال بكوكبى لإيجاد حل لمساعدتى .. لكن لم تأتنى المساعدة بالسرعة التى تمنيتها، اليوم فقط استيقظت على ندائهم بالإشارات المتبعة بينى وبين من هم من جنسى، فتحاملت على نفسى وجئت إلى هنا فى المعمل لأطلعهم على حقيقة أمرى وأن يعلموا أنى فى طريقى للنهاية، إنهم هنا يا عهد إنهم حولنا ينتظروننى بالخارج ليأخذوا ما تبقى من أخيك وضاح. أخى الحبيب إن أجسامنا لا تتحمل البعد عن كوكبنا إلا مرة واحدة، وتحت ظروف خاصة، وأجهزة خاصة،

وأدوية حتى نتمكن من أداء مهمتنا فى البحث والمعرفة.. لذلك يا أخى رحل أبى عن والدتك بسرعة عندما بدأت الأجهزة الخاصة باستمراره على كوكب الأرض تتلف، وخاف أبى أن يوضح الأمر لوالدتى فتفعل كما فعلت أنت معى، تبكى وتتوسل ألا يتركها، وهنا ستكون نهايته ونهايتى أنا أيضا.. لذا سافر أبى دون وداع واكتفى بالرسالة التى قرأتها لك والدتنا قبل رحيلها، ورغم أن والدى كان يعلم أن يوم الفراق آت لا ريب فيه عندما تزوجها، إلا أنه استسلم لحب والدتنا له وحبه لها، وفى هدوء شديد تحامل أخى على نفسه، وأمسك يدى ثم ضغط عليها فى حب وود وقال: لقد فضلت أن أكون بجوارك ولو لأيام ولا أرى دموعك التى ألهبت وجناتك، سامحنى يا أخى هذه المرة الوداع كان غصباً عنى.

وفجأة سقطت يد أخى بجواره.

واحسرتاه ويا هول ما رأيت!!

لقد مات "وضاح"، أصبح أبيض كالثلج، تحجرت الدموع فى عينيه وانحبس الهواء فى صدره ثم سمعت أصواتاً كالتى نسمعها عندما يحدث ماس كهربائى وكأن أسلاك الدنيا اشتعلت.

وجدت ومضاً قوياً أضاء المعمل والبيت والهضبة، مما جعلنى أغمض عينى من شدة الضوء.

انتهى كل شيء سريعاً وعم السكون المكان، سكون مميت.. فتحت عينى فلم أجد أخى، لقد تلاشى، ذهب، ولم يبق منه غير الدوائر المعدنية والرسالة بجواره وملابسه، لقد ذهب، ذهب وضاح، ذهب أخى، ضاعت الدنيا، اسودت بعد كل هذا الضوء والجمال والطهر والنقاء.. أصبحت الحياة والدنيا والأمل والمعنى والكيان وجميع كواكب العالم وكل المخلوقات التى عليها لا تساوى شيئاً بالنسبة لى.

لقد كان إلهامى وفكرى ونضوجى، كان البسمة والفرحة، كان النفس الذى أعيش به، والهواء النقى الذى يملأ صدرى، حتى جسده أصبحت لا أملك منه أى شيء، الرحمة يا ربى..

أمسكت بملابس أخى وأخذت انتحب بهستيرية ويا لمرارة الوداع!! وضاح وضاااااااح أخى، حبيبى، رفيق أسعد أيام عمرى، صديقى، أبى، وأمى، أيها القائد العظيم الذى حاربت الزمن بشراسة حتى انتصرت عليه، وأخذت كل ما تريد، هل ضعفت الآن ؟ هل مت ؟ هل تركتنى وحيداً أيها الفيلسوف، أيها الطيب، أيها الشاب، أيها الصغير الكبير، أيها الحكيم.. آه آه أخى أخى مزقت قلبى وكبدى حطمت أضلعى آه آه يا توأم روحى يا كل عمرى أرجوك عد إلى.. لا يمكننى العيش بدونك أرجوك ابق، أين حكمتك؟ أين فلسفتك؟ انتهت؟ ألا يمكن أن تعود؟ أستغفرك ربى... ارحمنى ربى... هون على.

وأمسكت الرسالة، وبدأت فى قراءتها، ووجدت السطور كل السطور تبكى وأنا أقرأ المعانى التى بها..عهد أرجوك ضع ما تبقى منى بجوار قبر أمى لأكون مثلكم عندما تنتهى بكم الحياة، وأيضا لتزور قبرى وقتما تشاء، وقبل لى شبيهتها ابنتك نرجس الصغيرة، وقبل لى زوجتك، وكذلك صديقك وصديقى الأمين صقر. حافظ على ما بين يديك، واعطف على كل من يحتاج وعالج كل من يسألك العلاج بأقل ثمن فعندك الكثير ولا تبخل بعلمك على أحد، انشر العلم بين الناس، وانهض بأرضك، واسعَ بها إلى الرقى والعزة، وسأكون فى ذاكرتك وكتبك وعلمك وثقافتك؛ لأنك منى وأنا منك، الله يرعاك ويسدد خطاك وسامحنى يا أعز مخلوق لى فى زمانى وزمانك.

وبدون شعور تسللت خارجاً ومعى ما تبقى من أخى فى ملاءة صغيرة، ودفنته كما طلب ثم عدت أدراجى للبيت.

انهرت وصرخت أنادى زوجتى وارتميت على الأرض فى حالة إعياء شديد، وداهمتنى الحمى، وحبست نفسى، ولم أدرِ كم من الزمن أو الوقت بقيت هكذا، أهملت عملى وتجارتى ومشاريعى، أهملت الناس والزوجة والصديق وابنتى، أهملت صحتى وأطلقت لحيتى ومنعت نفسى عن الطعام والشراب إلا الضرورى الذى يسد رمقى، ضعف جسدى واكتأبت وأظلمت الدنيا من حولى.. وحاولت زوجتى إخراجى من حالتى لكن دون جدوى.

كنت أنام وأنا جالس بجوار قبر أخى، كان فى عينى دائما، لقد تسببت فى موته يا ليتنى تركته يرحل، كنت أنانياً لأقصى حد، لقد ضحى بنفسه من أجل بضعة شهور ليسعدنى.. لم أكن أعلم أنه يعيش بالأجهزة .... ياليته أعلمنى بما سيحدث له كنت تركته فى الحال ليسافر إلى بلاده إلى كوكبه، لكنه لم يشأ أن يقلقنى عليه فكانت النتيجة موته. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

مرت أسابيع وأنا فى هذه الحالة الميئوس منها، حتى جاء يوم وسمعت أصواتا كثيرة، هرجاً ومرجاً حول منزلى بالربوة، وتمالكت نفسى قليلا مستنداً على أثاث الحجرة، وأنا فى إعياء شديد، حتى وصلت إلى النافذة، ورأيت حشداً كبيراً من الناس ينادون باسمي تارة، وبلقبى تارة، يستحلفونتى الخروج من عزلتى، وتقدم بعض منهم نحوى وقال لى: أيها العالم الشاب، أيها الأخ والصديق، أيها الابن البار، أيها الحكيم حامى راية العلم والمعرفة، عد إلينا، أنت أمل كل فرد فينا، أملنا فى العلم والتقدم، أمل كل مريض يطلب من الله الشفاء، أمل كل أم تستحلفك أن تطبب ابناً لها، عد لنا عد لنفسك ولله سبحانه وتعالى، ولا تعترض، فإننا من التراب خلقنا وإليه سنعود، إنها سنة الحياة، اجلس قليلا مع بعض شيوخنا إنهم حاملون للقرآن الكريم حافظون له سوف يغسلون أحزان قلبك ويدخلون السلوان والصبر إليه .

جلست إلى رجال الدين الذين تجمعوا حولى، وسمعت منهم آيات القرآن الكريم وحضر نخبة من رجال العلم والثقافة والأغنياء والفقراء، وكل من قدمت له خدمة أو معروفاً أو ساعدت فى شفاء مريض له، إنه خليط من الناس حضروا بناء على رغبة ودعوة صديقى "صقر" الذى نشر خبر وفاة شقيقى فى كل الصحف، وأعلن عنه فى الإذاعة والتلفزيون، وعن حالة الاكتئاب والحزن التى أمر بها، وحضر الجميع آملين ألا أخيب رجاءهم ولا أخذل أخى، وأقتل نفسى، ويضيع العلم الذى علمه لى أخى، وأفنى حياته ليساعدنى فى أن أحظى به.

قالوا لى: إن هذا الحزن يؤلم أخاك فى مثواه، فهل تريد له هذا؟ إنها مشيئة الله فلا تحمل نفسك مثل هذا الوزر الكبير، ولا تعترض على إرادة الله.. عد للحياة والدنيا وعملك ومرضاك عد من أجل "نرجس" الصغيرة لتريح الأموات فى

قبورهم، عد لزوجتك ونفسك، عد للحياة، وقرأ الجميع سورة الرحمن وبعض السور فوق رأسى، ووجدت نفسى أجهش فى بكاء عنيف، غسل أحزان قلبى، وشفت كلمات الشيوخ الأجلاء جروحى، وهونت على الصدمة.

رفعت رأسى، وخرجت للناس الذين قابلونى بالحب والقبلات، وسمعت لفظ الجلالة يملأ جوانحى، استندت على كتف "صقر" صديق العمر، وقلت بصوت مسموع: أنا عائد للحياة من أجلك يا "وضاح" حتى لا أخذلك كما وعدتك دائما، ولن أقتلك مرة ثانية، وستظل ساكناً كل جوانحى حتى مماتى، لقد ضحيت بنفسك من أجل أن تسعدنى حسب وصية والدك، وأنا لن أكون أقل تضحية منك، سأنشر العلم والخير والحب بين الناس كما أمرتنى فاهدأ فى مثواك وسيتولانى الله برعايته .

مرت شهور بعد هذه الحادثة، حاولت أن أندمج فى الحياة العملية قدر المستطاع، وكانت بسمة

ابنتى فى وجهى تغسل جزءاً من أحزانى، وأحمد الله، لقد هدأت العاصفة التى اجتاحت قلبى وروحى وجسدى، وكان هذا بفضل كلمات الله العظيمة .

رحم الله "وضاح" وأبى وأمى، وجعل لهم الجنة فى الآخرة، مهما اختلفت الكواكب واختلف البشر والأجناس، واختلفت أعضاؤنا، زادت أو نقصت، فإن الله هو الخالق، وقانون الحياة لا يتغير، لأنه سبحانه وضعه ونفذه منذ ظهور البشرية بالصورة التى يرضاها .

وهكذا انتهت قصتى مع أجمل حب فى الوجود حب الأخ لأخيه حتى ولو كان من كوكب آخر .

openkan.com